

# شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ الْحَائِيَّةِ فِي

## عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

لِلْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٣١٦ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

الشَّيْخُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَالِمَةِ

الدُّكْتُورِ صَلَاحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ الدُّنْيَا وَلِطَمَعَ الْمُسْلِمِينَ

اعْتَقَفَ بِهِ وَأَسْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانِ الْمُجَاهِدُ السُّوَلِيمِيُّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ الدُّنْيَا وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِأَجَلِهِ

مَكْتَبَةُ الْأَعْلَى الدِّهْيِيَّةِ

الكويت

الْبُرَاقُ الدِّهْيِيُّ

الرياض

شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ الْحَائِيَّةِ فِي عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

شرح المنظومة الحائية

في

عقيدة أهل السنة والجماعة

② مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن فوزان

شرح المنظومة الحانية في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة. /

صالح بن فوزان الفوزان - ط ١ - الرياض ، ١٤٤٦ هـ

١٨٤ ص: .. سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٢١٢٥-٩-١

١٤٤٠/١٤٩٤

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١٤٩٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٢١٢٥-٩-١

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

(١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي، حولي - شارع المثنى - مجمع البدرى - ت، ٢٢٦٥٨٠٦

فرع المصاحف، ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء، الناصر مول، تلفون، ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل، البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون، ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض، المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساخن، جوال: ٠٠٩٦٥٥٤٤٠٥٥٥٩



z.zahby74@yahoo.com



imamzahby

شرح المنظومة الحائية

في

عقيدة أهل السنة والجماعة

للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني

المتوفى ٣١٦ هـ رحمه الله تعالى

الشيخ

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِطَبِيعِ الْمُسْلِمِينَ

اعتمدت به وأسرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجله السويلم

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِشَاخِجِهِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:  
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم،  
بطباعة كتابي: شرح المنظومة الحائية للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود  
السجستاني رحمه الله.

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.  
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤٤١/١٧/١٤  
١٤٤١/١٧/١٤

## مقدمة الناشر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه  
وسلم، أما بعد:

فهذا شرح وتعليق شيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح  
ابن فوزان بن عبد الله الفوزان - أثابه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - على (المنظومة الحائية)، من  
تأليف الإمام المحقق والحافظ المتقن المدقق الشيخ أبي بكر عبد الله بن الإمام أبي  
دواد السجستاني صاحب السنن، ولد بإقليم سجستان سنة ثلاثين ومئتين، وتوفي  
سنة ست عشرة وثلاثمائة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وكان حنبلي المذهب في الفروع، من أئمة أهل  
السنة والجماعة، الذين عرفوا بصحة وصفاء المعتقد، وقد ذكر الإمام ابن القيم  
منظومة ابن أبي داود الحائية، وأثنى عليها في قصيدته الكافية الشافية، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى      حقا أبي داود ذي العرفان

تصنيفه نظما ونثرا واضح      في السنة المثلى هما نجمان

وقد قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: (كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين، ما هو بدون  
أبيه، صنف التصانيف، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد، ... وكان من بحور  
العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه، ... والرجل من كبار علماء المسلمين،  
ومن أوثق الحفاظ).

وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ اللهُ: (كان فهماً عالماً حافظاً)، وقال ابن السبكي رَحِمَهُ اللهُ:  
(الحافظ بن الحافظ، أحد الأجلاء).

وقال شيخنا العلامة صالح الفوزان عن الناظم الإمام عبد الله السجستاني:  
(ويكنى أبا بكر، وهو إمام جليل، أخذ عن أبيه، وعن غيره من علماء وقته، وتبحر

في العلم والرواية وحدث، وله مقام عظيم في العلم، لا يقل عن مقام أبيه، أو يقارب مقام أبيه رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فجاءت هذه القصيدة متضمنة لعقيدة السلف).

ومما قاله الإمام الذهبي رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كتابه العلو: (هذه القصيدة متواترة عن ناظمها)، وسميت بالحائية؛ لأنها جاءت على قافية واحدة على حرف الحاء.

فجزى الله الامام عبد الله بن سليمان بن الأشعث -المعروف بابن أبي داود السجستاني- على تأليف منظومته البديعة خيراً كثيراً وأجرًا كبيراً، وجزى الله الكريم شيخنا ووالدنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان، على شرحه وبيانه وتوضيحاته وتعليقاته خير الجزاء وأحسنه في الدنيا والبرزخ والآخرة، ونحن معه بفضل الله رب العالمين جَلَّ جَلَالُهُ.

وكان هذا الشرح يتكون من دروس ألقاها في المسجد فضيلة الشيخ:

الدكتور / **صَالِحُ بْنُ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ**

**بِغُفْرِ اللَّهِ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ**

في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، ابتداءً من يوم الأحد الموافق للخامس والعشرين من شهر محرم عام ستة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة، نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن ينفع به، وأن يجزي الماتن والشارح خير الجزاء، إنه سميعٌ مجيب.

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايحي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع.

والله أعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوَلِيِّ  
 عَمْرَ اللَّهِ وَلَوْلَا دَرِيَّةُ لَأَهْلُ بَيْتِهِ وَلِشَايِخِهِ





---

## المَقْدَمَاتُ التَّمْهِيدِيَّةُ

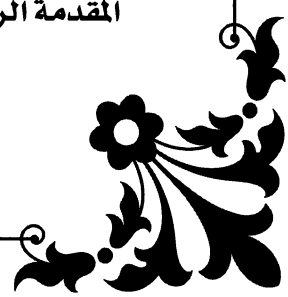
وهي أربع مقدمات:

المقدمة الأولى: ترجمة ناظم الحائية.

المقدمة الثانية: ترجمة شارح الحائية.

المقدمة الثالثة: التعريف بالمنظومة الحائية.

المقدمة الرابعة: متن المنظومة الحائية.



---



## المقدمة الأولى

## ترجمة صاحب المنظومة الحائية

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

(ت: ٣١٦)

وفيه تسعة مباحث<sup>(١)</sup>:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: مشايخه.

المبحث الرابع: تلامذته.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: مذهبه الفقهي.

المبحث السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المبحث التاسع: وفاته.

(١) مصادر الترجمة: «الفهرست» لابن النديم (ص ٢٣٢)، «تاريخ أصبهان» (٢/ ٦٦)، «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٩/ ٤٦٤)، «المنتظم» لابن الجوزي (٦/ ٢١٨)، «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٧٣٥)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٧/ ٧٦٧)، «العبر» له: (٢/ ١٦٤)، «ميزان الاعتدال» له (٢/ ٤٣٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٢١)، «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ٥١-٥٢)، «طبقات ابن السبكي» (٣/ ٣٠٧-٣٠٩)، «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٤٢٠)، «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر (٣/ ٢٩٣)، «مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ٢٦٩)، «المقصد الأرشد» لابن مفلح (٢/ ٣٤-٣٦)، «المنهج الأحمد للعلمي» (٢/ ١٤)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٢٢)، «طبقات المفسرين» (١/ ٢٣٦-٢٣٨)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٧٣)، «الأعلام» (٤/ ٩١). وأشار إليه ابن كثير في «البداية» إشارة (١١/ ١٦٩)، وترجم له ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٠٤) في سياق ترجمة أبيه.

**المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:**

هو أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران، الأزدي، السجستاني، المعروف بـ «ابن أبي داود».

**المبحث الثاني: مولده ونشأته:**

ولد بإقليم سجستان، سنة ثلاثين ومئتين.

قال أبو بكر ابن أبي داود: «أول ما كتبت سنة إحدى وأربعين عن محمد بن أسلم الطوسي، وكان بطوس وكان رجلاً صالحاً، وسُرَّ بي أبي لما كتبت عنه، وقال لي: أول ما كتبت كتبت عن رجل صالح.

ورأيت جنازة إسحاق بن راهويه، ومات إسحاق سنة ثمان وثلاثين، وكنت مع ابنه في الكتاب».

وقد رحل به والده من سجستان فطَوَّف به شرقاً وغرباً. وأسمعه من علماء ذلك الوقت. فسمع بخراسان، وأصبهان، ونيسابور، والبصرة، وبغداد، والكوفة، ومكة، والمدينة، والشام، ومصر، والجزيرة، والثغور، واستوطن بغداد.

وكان ذا هِمَّةٍ عالية منذ صغره في التحصيل والطلب، ومن دلائل هذه الهمة قوله رَحِمَهُ اللهُ - فيها رواه عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين -: قال سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: «دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فاشتريت به ثلاثين مُدَّ باقلاء، فكنت أكل منه مدًّا، وأكتب عن أبي سعيد وعثمان ألف حديث، فلما كان الشهر حصل معي ثلاثين ألف حديث، ما بين منقطع ومرسل».

وقوله: «حدثت من حفظي في أصبهان بستة وثلاثين ألف حديث، ألزمني فيها سبعة أحاديث، فلما انصرفْتُ وجدت في كتابي خمسة منها على ما كتبت حدثهم به».

## المبحث الثالث: مشايخه:

سمع الحديث عن جماعة، منهم:

أحمد بن الأزهر النيسابوري.

وإسحاق بن إبراهيم النهشلي.

وإسحاق بن منصور الكوسج.

وأبو داود سليمان بن معبد السنجي.

وسلمة بن شبيب.

وعلي بن خشرم المروزي.

وعمر بن علي البصري.

ومحمد بن يحيى الذهلي.

ومحمد بن بشار بن دار.

ومحمد بن المثنى.

ومحمد بن عبد الله المخرمي.

ونصر بن علي البصري.

ويعقوب الدورقي.

ويوسف بن موسى القطان.

كما رَوَى عن: زياد بن أيوب، وأحمد بن صالح، وأبي طاهر بن السرح، ومحمد

ابن سلمة المرادي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وخلق كثير.

### المبحث الرابع: تلامذته،

روى عنه الحديث جماعة من الأعلام، ومنهم:

أبو أحمد الحاكم.

وأبو بكر بن مجاهد المقرئ.

وأبو بكر الشافعي.

وأبو بكر محمد بن المظفر الوراق.

وأبو الحسين بن سمعون.

وأبو حفص عمر بن شاهين.

والإمام الدارقطني.

ودعبلج بن أحمد.

وأبو طاهر المخلص.

وعبد الرحمن بن أبي حاتم.

وأبو عمر بن حيويه.

وعبد الباقي بن قانع.

وأبو عبد الله بن بطة.

ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق.

وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب.

ونصف بن علي الوزير.

**المبحث الخامس: عقيدته،**

يُعدُّ الإمام أبو بكر ابن أبي داود السجستاني من أئمة أهل السنة والجماعة، ومن المتَّبِعِينَ للكتاب والسنة، وكان حنبلي المذهب في الفروع، متَّبِعًا للإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة في الأصول.

وقد عدَّه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى من أئمة السنة المثبتين لصفة العلو، وأثنى عليه، وذلك في نونيته المسماة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، في النوع السادس عشر من أنواع أدلة العلو الاستواء، فقال<sup>(١)</sup>:

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى      حقاً أبي داود ذي العرفان  
تصنيفه نظماً ونثراً واضح      في السنة المثلى هما نجمان

ولابن أبي داود في تقرير عقيدته قصيدته الحائية المشهورة (موضع الشرح)، وقد ساقها جماعة من الأعلام في كتبهم العقدية، كما ذكرها بعض من ترجم له في ترجمته، وعلى رأسهم: ابن أبي يعلى، كما أوردها الذهبي كاملاً في كتاب العلو<sup>(٢)</sup>، وهي قصيدة في العقيدة وأصول الدين، حائية الروي، تحتوي على أربعين بيتاً.

وقد جاء عنه أنه قال في تمام هذه القصيدة: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم من بلغنا قوله، فمن قال علي غير ذلك فقد كذب».

أما ما نسب إليه من العدا لآل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المسمّى بالنصب فلم يثبت عنه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى شيء من ذلك، بل ثبت عنه ضد ذلك ونقيضه، وهو ولاء آل البيت

(١) الكافية الشافية (ص ٦٥).

(٢) انظر: كتاب «العلو» (ص ١٥٣-١٥٤).

ومحبتهم والثناء عليهم وذكر فضائلهم ومآثرهم. بل لم يتحقق في ترجمته من الذي نسبته إلى النصب وما حجته على ذلك، إلا أن هذه التهمة التُصِقت به في حياته رَحِمَهُ اللهُ وبراً نفسه منها ولم يجعل من رماه به في حل.

قال أحمد بن يوسف بن الأزرق: «سمعت أبا بكر بن أبي داود غير مرة يقول: كل من بيني وبينه شيء أو قال: كل من ذكرني بشيء فهو في حل إلا من رماني ببغض علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>.

وخير شاهد ودليل على سلامته من هذه التهمة قصيدته هذه التي بين أيدينا<sup>(٢)</sup>، والتي فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فقد قال بعد أن ذكر الخلفاء الثلاثة:

ورابعهم خير البرية بعدهم      علي حليف الخير بالخير منجج

### المبحث السادس: مذهب الفقهي:

المشهور أنه حنبلي المذهب، وقد عدّه أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل.

وترجم له الحنابلة في طبقاتهم، ومنهم: ابن أبي يعلى، وابن مفلح، والعلمي. وعدّه بعض الشافعية منهم، وترجموا له في طبقاتهم، كما فعل: ابن السبكي.

### المبحث السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين: «أملى علينا ابنُ أبي داود ستين، وما رأيتُ بيده كتاباً، إنما كان يملئ حفظاً، فكان يقعد على المنبر بعدما كبر ويقعد

(١) ينظر: «تاريخ بغداد» (٩/٤٦٨).

(٢) وللشيخ المعلمي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «التنكيل» (١/٣٠٧-٣١٤) كلام قيم في تبرئة ابن أبي داود مما تُسب إليه من النصب وغيره، أجاد فيه وأفاد فرحمه الله تعالى.

دونه بدرجة ابنه أبو معمر، بيده كتاب فيقول حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتي على المجلس».

وقال الأزهري: سمعتُ أحمد بن إبراهيم بن شاذان يقول: «أُخرج أبو بكر ابن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم، فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟! قال أبو بكر: فأتاروني، فأملتُ عليهم ثلاثين ألف حديثٍ من حفظي. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «سألتُ الدارقطني عن أبي بكر بن أبي داود، فقال: ثقة».

وقال الحافظ أبو محمد الخلال: «كان ابن أبي داود إمام أهل العراق وقد نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو».

وقال الخطيب البغدادي: «كان فقيهاً عالماً حافظاً».

وقال ابن خلكان: «كان أبو بكر ابن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد، عالماً متفقهً إماماً».

وقال الذهبي: «وكان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه»، وقال أيضاً: «كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ما هو بدون أبيه، صَنَفَ التصانيف وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد».

وقال أيضاً: «والرجل من كبار علماء المسلمين ومن أوثق الحفاظ».

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة: «كان فهِماً عالماً حافظاً».

وقال ابن السبكي: «الحافظ ابن الحافظ، أحد الأجلّاء...».

وقال الداوودي: «كان فقيهاً عالماً حافظاً».

### المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره العلمية:

- كتاب: «القصيدة الحائية في العقيدة»، (ط)، وهو محل الشرح في هذا الكتاب.

- كتاب: «المسند».

- كتاب: «الناسخ والمنسوخ».

- كتاب: «التفسير».

- كتاب: «القرارات».

- كتاب: «المصاحف»، (ط).

- كتاب: «المصابيح» في الحديث.

- كتاب: «نظم القرآن».

- كتاب: «فضائل القرآن».

- كتاب: «شريعة التفسير».

- كتاب: «شريعة المقارئ».

- كتاب: «البعث والنشور».

وذكروا من كتبه كتاب «السنن»، وذكروا أنه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه. وهو على هذا غير كتاب أبيه المعروف بسنن أبي داود.

### المبحث التاسع: وفاته:

توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة وخلف ثمانية أولاد رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.



## المقدمة الثانية ترجمة شارح الحائية الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان

وفيها ست مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: مشايخه.

المبحث الرابع: تلامذته.

المبحث الخامس: مكانته العلمية والاجتماعية.

المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية.

**المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ونسبته:**

صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، من أهل الشماسية، من قبيلة الدواسر.

**المبحث الثاني: مولده ونشأته زماناً ومكاناً:**

ولد الشيخ - حفظه الله تعالى - عام (١٣٥٤)، في مدينة الشماسية في منطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية.

وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته.

وتعلم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ حمود بن سليمان التلال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وهو إمام مسجد البلدة، وكان قارئاً متقناً، وتولى القضاء في بلدة ضرية في منطقة القصيم.

وقد درس الشيخ الدراسة الأولية (الابتدائية) في بلده بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشامية عام (١٣٦٩هـ). ثم أكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام (١٣٧١هـ).

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحها، عام (١٣٧٣هـ)، وتخرج منه عام (١٣٧٧هـ).

ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض، وتخرج منها عام (١٣٨١هـ).

ثم نال شهادة الماجستير في الفقه، عام (١٣٩٧هـ) بأطروحته التي كانت بعنوان: «أهم المسائل الخلافية في المباحث الفرضية»، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، وقد طُبع الكتاب باسم: «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية». وكان المشرف عليه شيخه الشيخ العلامة: عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ثم حصل على درجة الدكتوراه عام (١٣٩٩هـ) من نفس الكلية، في موضوع: «أحكام الأطعمة: حلالاً وحرمةً، واستدلالاً وترجيحاً»، وقد طُبع باسم: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية».

### المبحث الثالث: مشايخه؛

تلقى العلم على يد جماعة من أنبل علماء العصر، ومنهم:

١- الشيخ العلامة المفتي والقاضي: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن حميد،

(ت: ١٤٠٢هـ) وكان يحضر دروسه في جامع ببريدة.

٢- الشيخ العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، مفتي الديار

السعودية في وقته، (ت: ١٤٢٠هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

- ٣- الشيخ العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، (ت: ١٣٩٣هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ٤- الشيخ العلامة: عبد الرزاق عفيفي، (ت: ١٤١٥هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ٥- الشيخ: صالح بن عبد الرحمن بن إبراهيم السكيّتي، (ت: ١٤٠٤هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ٦- الشيخ: صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي، (ت: ١٤١٠هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ٧- الشيخ: عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن الخليلي، (ت: ١٣٨١هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ٨- الشيخ: إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن، (ت: ١٤٢٦هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ٩- الشيخ: حمود العقلا، (ت: ١٤٢٢هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- ١٠- الشيخ: صالح بن علي بن سليمان الناصر، (ت: ١٤٠٦هـ)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- كما تتلمذ الشيخ وأخذ العلم على عدد من شيوخ الأزهر الوافدين للتدريس في كلية الشريعة في جامعة الإمام.

#### المبحث الرابع: تلامذته؛

تلقّى عنه العلم جماعةٌ من أنبل وأشهر العلماء وطلاب العلم في العصر الحاضر، منهم أساتذة في الجامعة، وقضاة، وأئمة مساجد، منتشرون هنا وهناك لنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى.

#### المبحث الخامس: مكانته العلمية والاجتماعية؛

- عمل مدرسًا في مدرسة بلدته الشاسية.
- ثم مدرسًا في المعهد العلمي ببريدة.

- ثم مدرسًا في كلية الشريعة بالرياض.
- ثم مدرسًا في كلية أصول الدين.
- ثم مديرًا للمعهد العالي للقضاء وأستاذًا فيه.
- ثم عضوًا في اللجنة الدائمة العلمية والإفتاء. وعضوًا في هيئة كبار العلماء، وما يزال في المنصبين.

وشارك في العديد من مؤتمرات: رابطة الشباب المسلم العربي، والشباب الإسلامي في غرب إفريقيا، والدعوة الإسلامية، ورسالة المسجد، وعُيِّن عضوًا في لجنة الإشراف على توجيه الدعاة في الحج، ولجنة مراجعة مؤلفات مقرر العقيدة للثانوي المطور، إضافة إلى مشاركته المتعددة في الصحف والإذاعة والمحاضرات العامة.

### المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية:

- كتاب: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد»، مجلد.
- كتاب: «الملخص الفقهي»، مجلدان.
- كتاب: «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام».
- كتاب: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية»، مجلد، (وهو رسالة الدكتوراه).
- كتاب: «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية»، مجلد، (وهو رسالة الماجستير).
- كتاب: «الإرشاد إلى توضيح مسائل الزاد»، حاشية على زاد المستنقع.
- كتاب: «إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان».
- كتاب: «الاجتهاد».
- كتاب: «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل».

- كتاب: «بيان ما يفعله الحاج والمعتمر وتنبيهات على أخطاء يرتكبها بعض الحجاج».
- كتاب: «البيان فيما أخطأ فيه بعض الكتّاب»، مجلد.
- كتاب: «تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهباً».
- كتاب: «التعقيب على ما ذكره الخطيب» في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- كتاب: «التعليق المختصر المفيد على كتاب التوحيد».
- كتاب: «تنبيهات على أحكام تخص المؤمنين».
- كتاب: «التوحيد» ويقع في جزأين، وهو مقرر في مرحلة الثانوية بوزارة التربية والتعليم في المملكة.
- كتاب: «رد أوهام أبو زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب».
- كتاب: «رسائل في مواضيع مختلفة».
- كتاب: «الرد على الشيخ السيابي في تعقيبه على فتوى شيخنا عبد العزيز ابن باز».
- كتاب: «الزكاة الشرعية وأحكامها وحكم تناول الميتة».
- كتاب: «الزكاة الشرعية وحكم اللحوم المستوردة».
- كتاب: «الشباب دوره ومشكلاته».
- كتاب: «شرح العقيدة الواسطية».
- كتاب: «إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلدان.
- كتاب: «الضيء اللامع من الأحاديث القدسية الجوامع».
- كتاب: «فتاوى ومقالات»: نشرت في مجلة الدعوة.

- كتاب: «الفرق بين البيع والربا في الشريعة الإسلامية».
  - كتاب: «الفقه الأكبر».
  - كتاب: «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية»، في أربعة مجلدات.
  - كتاب: «كيفية تغسيل الميت وتكفينه».
  - كتاب: «لمحة عن الفرق الضالة».
  - كتاب: «مجموع فتاوى في العقيدة والفقه»، مفرغة من البرنامج الإذاعي في إذاعة القرآن الكريم «نور على الدرب»، وقد أنجز منه أربعة أجزاء.
  - كتاب: «مجموعة رسائل وفتاوى»، (مشترك).
  - كتاب: «مختصر أحكام الجنائز».
  - كتاب: «محاضرات في العقيدة والدعوة»، (صدر منه ٣ مجلدات).
  - كتاب: «معنى (لا إله إلا الله) ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع».
  - كتاب: «من مشاهير المجددين في الإسلام».
  - كتاب: «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان».
  - كتاب: «الولاء والبراء في الإسلام».
- وللشيخ العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية.



## المقدمة الثالثة

## التعريف بالمنظومة الحائية

وفيها عشرة مباحث:

المبحث الأول: معلومات عامة عن المنظومة.

المبحث الثاني: اسمها.

المبحث الثالث: تقرير نسبتها للناظم.

المبحث الرابع: مخطوطاتها.

المبحث الخامس: مطبوعاتها.

المبحث السادس: أسانيد رواها.

المبحث السابع: شروحها.

المبحث الثامن: مكانتها عند العلماء.

المبحث التاسع: الناقلون عنها.

المبحث العاشر: موضوعها.

## المبحث الأول: معلومات عامة عن المنظومة:

هي قصيدة في العقيدة وأصول الدين.

حائية الروي: ينتهي كل بيت منها بحرف الحاء.

تحتوي على بضع وثلاثين أو أربعين بيتاً.

مطلعها:

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى

أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبُحُ

وَدُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي

إلى أن قال:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّتُ وَتُصْبِحُ

### عدد أبيات المنظومة:

وقد اختلفت الروايات والنسخ والطبعات في عدد أبيات المنظومة الحائية،

وهي على النحو التالي:

**الأول:** أنها تقع في (٣٣) بيتًا، وهذا عدد أبياتها في أكثر المصادر.

وهو الذي رواها به رواية الحائية، ومنهم: الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين، والإمام أبو بكر بن محمد بن الحسين الآجري، وعبيد الله الفقيه الحنبلي، والشيخ أبو بكر أحمد بن إبراهيم، وغيرهم.

وعليه مشى الشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، حفظه الله تعالى، في شرحه للمنظومة.

**الثاني:** أنها تقع في (٣٦) بيتًا، وقد ذكر العلامة السفاريني في شرحه للمنظومة (١٠٥-١٠٦): أن ابن البناء الحنبلي زاد عليها ثلاثة أبيات، وهي الرواية التي اعتمدها الشارح.

**الثالث:** أنها تقع في أربعين بيتًا، كما في شرح السنة لابن شاهين (ص ٣٥٣).

وقد ذكر بعضهم أن هذه الأبيات الزائدة من بعض الرواة.

وعليه مشى الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر البراك، حفظه الله تعالى، في شرحه للمنظومة.

وكذا الشارح الشيخ صالح بن فوزان، في شرحه هذا.

قال الشيخ د. عبد الرزاق بدر، حفظه الله تعالى بعد ذكر روايتها: «ولم يزد جميع هؤلاء فيما ذكره من أبيات هذه المنظومة على ثلاثة وثلاثين بيتاً.

وقد جاء في آخر كتاب السنة لابن شاهين بعد نهاية الكتاب -وهو من لحق بعض النسخ- إيذاناً لهذه المنظومة، مع زيادة سبعة أبيات بعد الأبيات المتعلقة بال عشرة المبشرين بالجنة، فأصبح مجموع أبيات المنظومة بهذه الزيادة أربعين بيتاً<sup>(١)</sup>.

والأبيات المزیدة هي:

|                                                      |                                                  |
|------------------------------------------------------|--------------------------------------------------|
| وَسَبْطِي رَسُولِ اللَّهِ وَابْنِي خَدِيجَةَ         | وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النِّقَاءِ تَبَخَّحُوا         |
| وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَائِنَا           | مُعَاوِيَةُ، أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ أَمْنَحُ        |
| وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ            | بِنَصْرَتِهِمْ عَنِ كَيْفَةِ النَّارِ زُحِرُوا   |
| وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَالْتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا خِذَ | وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَافْلَحُوا    |
| وَمَالِكُ وَالْثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمْ            | أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ |
| وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَالْتَّابِعِيُّ وَأَحْمَدُ        | إِمَامَا هُدًى مَنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ يَنْصَحُ  |
| أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ         | فَأَحْبِبَّهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ               |

ولا شك في أن هذه الأبيات المزیدة ليست لابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ؛ إذ جميع من رَووا القصيدة من تلاميذه لم يذكروا هذه الزيادة، ومن بينهم ابن شاهين رَحِمَهُ اللهُ، كما تقدّم في رواية الذهبي للمنظومة من طريقه، وليس فيها هذه الزيادة، مما يدلُّ على أنها زيدت في القصيدة بعد.

(١) «الكتاب اللطيف» لشرح مذهب أهل السنة (ص ٢٥٥).

ثم وجدت أن ثلاثة من هذه الأبيات قد زادها ابن البناء رَحِمَهُ اللهُ، كما نبه على ذلك السفاريني في شرحه لهذه المنظومة، قال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «لوائح الأنوار السنية»<sup>(١)</sup>: هذه الثلاثة أبيات:

وأولها قوله: وعائش أم المؤمنين...

وثانيها: وأنصاره والمهاجرون ديارهم...

وثالثها: ومن بعدهم فالتابعون...

ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر ابن أبي داود، بل من كلام العلامة المحقق ابن البناء من أئمة علمائنا.

ثم قال الشيخ عبد الرزاق: وعلى هذا فتبقى أربعة أبيات مزيدة على النظم ولا يُدرى من زادها، لكننا نقطع أنها ليست لابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، ولا تصح نسبتها إليه.

أما معاني هذه الأبيات فلا شك في حسنها وأهميتها، على ضعف تراكيبها وأوزانها، حتى أن القارئ لها ليدرك بمجرد قراءتها أنها مقحمة مزيدة.

### المبحث الثاني: اسم المنظومة:

يقال لها:

١- الحائية، نسبة للروي المنتهية به كل أبياتها.

٢- القصيدة الحائية.

٣- المنظومة الحائية.

(١) «لوائح الأنوار السنية» (٢/ ١٠٥).

والتعبير عنها بالمنظومة أدق من مصطلح القصيدة؛ لأن القصيدة في الغالب للشعر الأدبي ونحوه.

أما الشعر في العلم فجرى الاصطلاح أنه يُطلق عليه لفظ «المنظومة».

### المبحث الثالث: تقرير نسبة المنظومة الحائية للناظم؛

نسبها له جماعة من المترجمين الذين ترجموا له، ومنهم:

١- ابن أبي يُعلَى في طبقات الحنابلة.

٢- والذهبي في السير.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «العلو»: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري، وصنف لها شرحاً، وأبو عبد الله ابن بطة في الإبانة».

### المبحث الرابع: مخطوطات المنظومة الحائية؛

توجد للمنظومة الحائية عدة مخطوطات في مكتبات متفرقة في أنحاء العالم، ومن ذلك:

المخطوطة الأولى: مخطوطة دار الكتب الظاهرية، بدمشق.

تقع في ثلاث ورقات، ضمن مجموعة رقم: (٢٩٦١، عام)، (٧٤-٧٦).

كتبت سنة: (٧٥٣هـ).

المخطوطة الثانية: مخطوطة دار الكتب القطرية، بالدوحة.

تقع في ورقتين.

ضمن مجموع رقم: (١٠١٩)، (٥-٦).

**المبحث الخامس: مطبوعات المنظومة الحائية:**

لم تُفرد المنظومة الحائية بالطبع في كتابٍ مستقل؛ لكونها صغيرة الحجم في نحو صفحتين، ومثل هذا المقدار لا يُناسب إفراؤه بالطبع، بل يُطبع ضمن كتاب أو شرح، وهو ما عليه حال مطبوعات الحائية.

فقد طُبعت ضمن مجموعة من الكتب العقدية التي أوردتها كاملة، ومن ذلك: كتاب: «العلو للعلي الغفار» للحافظ الذهبي (ص ١٥٣-١٥٤).

كما أنها طُبعت محققة ضمن: «مجلة المحكمة»<sup>(١)</sup>.

**المبحث السادس: أسانيد المنظومة الحائية ورواتها:**

من رواها من العلماء:

١- الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، البغدادي، المحدث الواعظ (ت: ٣٨٥هـ).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>: أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد، قال: أنشدنا الإمام أبو محمد بن قدامة، سنة ثمان عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي الوقاياتي، أخبرنا علي بن بيان، أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري، حدثنا أبو حفص ابن شاهين، أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود لنفسه هذه القصيدة.

٢- الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجري (ت: ٣٦٠هـ):

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أملى علينا أبو بكر ابن أبي داود في مسجد الرصافة، في يوم الجمعة، خمسين بقين من شعبان سنة تسع وثلاثمائة.

(١) العدد (١٢)، بتحقيق. هاني بن جبير.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٣٣)، و«العلو للعلي الغفار» (ص ١٥٣-١٥٤).

٣- عبيد الله الفقيه:

قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في طبقات الحنابلة<sup>(١)</sup>: أنبأنا علي المحدث عن عبيد الله الفقيه، قال: أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود من حفظه لنفسه.

٤- أبو بكر أحمد بن إبراهيم:

قال أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>: قرأت على أبي الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن بدمشق، عن أبي العز أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن كادش السلمي العكبري، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري، قال: أنشدنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم، قال: أنشدنا أبو بكر بن عبد الله ابن سليمان بن الأشعث لنفسه في السنة رَحِمَهُ اللهُ.

وممن رواها بسنده كذلك:

١- أبو عبد الله ابن بطة.

٢- ابن شاذان.

٣- والحافظ الذهبي، من طريق أبي حفص ابن شاهين، وتقدم سياق إسناده.

وكذا ممن أوردها ضمن كتابه في العقيدة:

الشيخ: علي بن إبراهيم العطار (ت: ٧٢٤)، في كتابه: «الاعتقاد الخالص من

الشك والارتياب».

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٣).

(٢) «الحدائق الغناء» (ص ١٧٦).

## المبحث السابع: شرح المنظومة الحائية:

شرح المنظومة الحائية عدد من العلماء قديماً وحديثاً، ومن ذلك:

١- شرح الآجري، قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «العلو»: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري، وصنف لها شرحاً».

٢- شرح ابن البناء الحنبلي<sup>(١)</sup>.

٣- شرح: «لوائح الأنوار السنيّة ولوائح الأفكار السنيّة شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»، تأليف الإمام السفاريني: محمد بن أحمد ابن سالم، أبو عبد الله، النابلسي، الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ).

مطبوع في مجلدين، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض.

دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصري، نال بها درجة الدكتوراه، مع مرتبة الشرف الأولى، عام (١٤١٢هـ).

وهو شرح عظيم، إلا أنه تؤخذ عليه بعض المآخذ.

٤- شرح: «التحفة السنية شرح قصيدة أبي داود الحائية»، للشيخ محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، (ت: ١٣٣٢هـ).

٥- شرح: «التحفة السنية شرح قصيدة أبي داود الحائية»، للشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر.

وأصله دروس ألقاها الشيخ في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام (١٤١٧هـ)، كتبها عنه أحد طلاب العلم، ثم قام الشيخ بمراجعته والإضافة

(١) ذكر ذلك ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٥).

عليه وتنقيحه، وطبعت، وتوجد نسخ كثيرة منها على مواقع المكتبات الإلكترونية في شبكة المعلومات (الإنترنت).

٦- شرح الشيخ سعود الشريم إمام الحرم المكي، ومن ميزاته ما يتعلق بضبط المتن، والاهتمام بالعروض.

كما قام بشرحها وتدريسها جماعة من علماء العصر في دروسهم العلمية.

### المبحث الثامن: مكانة المنظومة الحائية عند العلماء:

للمنظومة الحائية مكانة عالية ومنزلة سامية عند علماء أهل السنة والجماعة على مر العصور وتعاقب الدهور.

وقد تجلّى اهتمام العلماء بها وعنايتهم بشأنها في عدة صور، ومنها:

١- روايتها.

٢- إيرادها في كتبهم العقدية.

٣- النقل عنها.

٤- الثناء عليها.

ومن ذلك قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في النونية<sup>(١)</sup>:

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى حقاً أبي داود ذي العرفان

تصنيفه نظماً ونثراً واضح في السنة المثلى هما نجمان

ومما قال فيها الشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في مقدمة

شرحه لها: «القصيدة السنية والمنظومة البهية... وهي منظومة شائعة الذكر، رفيعة

الشأن، عذبة الألفاظ، سهلة الحفظ، لها مكانة عالية ومنزلة رفيعة عند أهل العلم

(١) «الكافية الشافية» (ص ٦٥).

في قديم الزمان وحديثه، تواتر نقلها عن ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ، فقد رواها عنه غير واحد من أهل العلم كالآجري، وابن بطة، وابن شاهين، وغيرهم، وثلاثتهم من تلاميذ الناظم، وتناولها غير واحد من أهل العلم بالشرح... وهي منظومة عظيمة في تقرير المعتقد الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة تدل على مكانة ناظمها وسعة باعه، وحسن معتقده وطيب نصحه».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، (حفظه الله تعالى)، في شرحه للمنظومة:

«منظومة العلامة الحافظ ابن أبي داود، وهو أبو بكر عبد الله بن سليمان بن أبي داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن، ومن آثاره هذه المنظومة المشهورة التي اشتهرت عند المؤرخين للأعلام، فهي مشهورة عند أهل العلم، هذه المنظومة المشهورة بالحائية، حائية أو منظومة ابن أبي داود، ولعلها -يعني- إن لم تكن أول نظم في العقيدة فلا شك أنها من أول ما نسج على هذا المنوال، فإن أهل العلم لما قامت حركة التأليف وحركة الجهاد باللسان والرد على المبتدعين ألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة ومعظمها -يعني- بذكر الأدلة وجمع الأدلة، كلها مؤلفات يعني على سبيل النشر...

وهذه المنظومة التي نحن بصددنا محدودة الآيات قليلة، غايتها ما أثبت عندكم، أكثر ما وجد هي هذه المجموعة، أربعون بيتاً تقريباً، ولكنها تضمنت تأصيلاً، وتضمنت بيان معتقد أهل السنة لعله في أهم المسائل، ولا بد أن يكون ذلك على وجه الإجمال، مع هذا الاختصار لا يمكن إلا أن يكون على وجه الإجمال».



## المقدمة الرابعة

## متن المنظومة الحاثية

- ١ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
- ٢ وَدُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي وَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ كَلَامَ مَلِكِنَا
- ٣ وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالنُّوْقِ قَائِلًا وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً
- ٤ وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
- ٥ وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
- ٦ وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
- ٧ إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا
- ٨ رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
- ٩ وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَلرُّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ
- ١٠ سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
- ١١ وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْجُو
- ١٢ بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجَمٍ وَأَسْجَحُوا
- ١٣ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَيْكُ أَوْضَحُ
- ١٤ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحٌ
- ١٥ فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجُحُ وَكَلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ
- ١٦ بِلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ فَتَفْرُجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
- ١٧ وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا
- ١٨ وَزِيْرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ
- ١٩ عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرُحُ وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ
- ٢٠ وَلَا تَكُ طَعْنًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

- ٢٠ فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ  
٢١ وَسَبَّطَى رَسُولُ اللَّهِ وَابْنِي خَدِيجَةَ  
٢٢ وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالِنَا  
٢٣ وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ  
٢٤ وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحَسَنِ مَاخِذِ  
٢٥ وَمَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ ثُمَّ أَخُوهُمْ  
٢٦ وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالْشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ  
٢٧ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ قَدْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهُمْ  
٢٨ وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقَنَ فَإِنَّهُ  
٢٩ وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا  
٣٠ وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ  
٣١ عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ  
٣٢ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعُ  
٣٣ وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا  
٣٤ وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ  
٣٥ وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ  
٣٦ وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ  
٣٧ وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً  
٣٨ وَدَغَ عَنْكَ آرَاءُ الرِّجَالِ وَقَوْلُهُمْ  
٣٩ وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ  
٤٠ إِذَا مَا اغْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ
- وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمَدُّحُ  
وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النِّقَاءِ تَبْحَبُحُوا  
مُعَاوِيَةُ، أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ أَمْنَحُ  
بِنَصْرَتِهِمْ عَنْ كَيْةِ النَّارِ زُحْرُحُوا  
وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا  
أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمَسِيحِ  
إِمَامًا هُدًى مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْصَحُ  
فَأَحْبَبُهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ  
دَعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالِدَيْنِ أَفِيحُ  
وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ  
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ  
كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ  
وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوضَّحُ  
فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَضْفَحُ  
مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُزْدِي وَيَفْضَحُ  
أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالِدِّينِ يَمْرَحُ  
وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ  
بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَزْجَحُ  
فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ  
فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ  
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## مُقدِّمة الشَّارِحِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد:

فهذا شَرْحٌ لمنظومة أبي بكرٍ بن أبي داود السَّجِسْتَانِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَهِيَ تَتَضَمَّنُ عقيدته وما كَانَ عليه، وَأَنَّهُ مَتَّبِعٌ لِلسَّلَفِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ -عَصْرِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ- يَعْتَقِدُونَ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَفِي السُّنَّةِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ أَوْ شَكٍّ؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِيْمَانًا صَادِقًا قَوِيًّا، فَاعْتَقَدُوا مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنُوا بِكُلِّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ واشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ مِنْ جَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ، فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَلَا يَشْكُونَ فِي ذَلِكَ سِوَاءَ مَا كَانَ فِي الْعَقَائِدِ، أَوْ الْعِبَادَاتِ أَوْ الْمُعَامَلَاتِ، أَوْ الْأَدَابِ، أَوْ الْأَخْلَاقِ، أَوْ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، مَا كَانُوا يَتَوَقَّفُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُقْتَضَى الْإِيْمَانِ، وَهُمْ آمَنُوا حَقًّا وَصِدْقًا، فَلَا يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا ثَبَتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ، وَلَا فِي أَخْبَارِهِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، لَا يَسْتَشْنُونَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِيْمَانًا جَازِمًا لَا يَعْتَرِيهِ شَكٌّ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ مُقْتَضَى الْإِيْمَانِ.

ثُمَّ ظَهَرَتِ الْفِرْقُ الضَّالَّةُ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ الصَّحَابَةِ؛ كَفِرْقَةِ الْخَوَارِجِ، وَفِرْقَةِ الشَّيْعَةِ، وَفِرْقَةِ الْمُرْجِئَةِ، وَفِرْقَةِ الْقَدَرِيَّةِ، ظَهَرَتْ هَذِهِ الْفِرْقُ، وَكَانَ أَصْحَابُهَا

يتكتمون في القرون المفضلة، ولا يُظهرون هذه المخالفات، وكلُّ مَنْ أظهر شيئاً منها فإنه يؤخذ على يده ويمنع من ذلك، وإن وصل به الأمر إلى الردة فإنه يُقتل؛ حماية لهذا الدين من أن يعبث به هؤلاء العابثون.

فلما انقضت القرون المفضلة ودخلت الثقافات الأجنبية في بلاد المسلمين؛ كثافة الروم، وثقافة الفرس، حصل شيء من الخلل، ونشط دعاة الضلال في ترويج هذه الأفكار المنحرفة، فعند ذلك نشط أهل العلم في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليها التابعون وأتباع التابعين، فحرروها ودونوها في كتب سموها: الإيمان، أو الشريعة، أو السنة، أو التوحيد، وردوا فيها على المخالفين، فصار هذا من لطف الله بهذه الأمة ليبقى دينها، فإن الله يقيض لهذا الدين حماة في كل زمان يحفظونه.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم: يدعون من ضل إلى الهدى، ويضربون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأفبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين: الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم محتفلون في الكتاب، محالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٨٥)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط ٢، عام (١٤٠٢)، دار اللواء، الرياض، السعودية.

بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَحْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ  
فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنِ الضَّالِّينَ». اهـ.

ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَوَارَثُوا هَذِهِ الْكُتُبَ، وَاسْتَخْلَصُوا مِنْهَا كُتُبَ الْعَقَائِدِ، وَتَدَاوَلُوا  
مَا أَلْفَهُ هَؤُلَاءِ الْأَيُّمَةُ، فَوُجِدَتْ كُتُبُ الْعَقِيدَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ جَمِيعَ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ وَمَا  
عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ اعْتَنَوْا بِمُتُونِ الْعَقِيدَةِ وَنَظْمُوهَا؛ لِأَنَّ النَّظْمَ أَخَفُّ عَلَى  
النَّفْسِ وَأَسْرَعُ فِي الْحِفْظِ، وَأَبْقَى فِي الذَّاكِرَةِ، فَنَظَمُوا هَذِهِ الْمُتُونَ فِي الْعَقَائِدِ لِيَسْهُلَ  
حِفْظُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا، وَهِيَ: «حَائِيَّةُ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ».

وَسُمِّيَتْ «الْحَائِيَّةُ»؛ لِأَنَّهَا عَلَى رَوِيِّ الْحَاءِ، مِثْلُ الْمِيمَةِ لِابْنِ الْقِيمِ، وَالنُّونِ لِه؛  
لأنَّهَا عَلَى رَوِيِّ النُّونِ أَوْ الْمِيمِ، فَالنَّظْمُ إِذَا كَانَ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِاسْمِ  
هَذِهِ الْقَافِيَةِ، كَأَن يَكُونَ عَلَى الْحَاءِ، أَوْ الْمِيمِ، أَوْ النُّونِ، فَيُقَالُ: الْحَائِيَّةُ، أَوْ الْمِيمِيَّةُ،  
أَوْ النُّونِيَّةُ، وَهَكَذَا.

أَمَّا إِذَا كَانَ النَّظْمُ لَيْسَ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالرَّجَزِ، فَهَذَا يُسَمَّى  
بِالْمَنْظُومَةِ، أَوْ الْأَرْجُوزَةِ، مِثْلُ مَنْظُومَةِ السَّفَّارِينِيِّ، وَمَنْظُومَةِ الرَّحْبِيِّ فِي الْفَرَائِضِ،  
وَمِثْلُ نَظْمِ ابْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ لـ «الْمُقْنِعِ» فِي الْفَقْهِ، وَنَظْمِهِ لـ «الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ».

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ النَّظْمَ جَيِّدٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْهُلُ حِفْظُهُ فَيَبْقَى، وَلِأَنَّهُ يُنَظَّمُ الْمَعْلُومَاتُ،  
وَإِنْ كَانَ النَّثْرُ هُوَ الْأَصْلُ، وَلَكِنَّ النَّظْمَ -أَيْضًا- لَهُ فَائِدَتُهُ فِي تَثْبِيتِ الْمَعْلُومَاتِ،  
وَمِنْهُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الْجَيِّدَةُ: الْقَصِيدَةُ الْحَائِيَّةُ لِأَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ.

**التعريف بمؤلف الكتاب؛**

وَأَبُو بَكْرٍ: هو: عبدُ الله بنُ أَبِي دَاوُدَ (سُلَيْمَانُ) بنُ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيّ.

ووالدُه: أَبُو دَاوُدَ هو: سُلَيْمَانُ بنُ الْأَشْعَثِ، وهو صَاحِبُ السُّنَنِ، التي هي إحدى السُّنَنِ الْأَرْبَعِ من دَوَاوِينِ السُّنَّةِ الْمُهِمَّةِ، وهو من أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَتَلَامِيذِهِ، وله مَسَائِلُ مَطْبُوعَةٌ، رَوَاهَا عن الْإِمَامِ أَحْمَدَ اسْمُهَا «مَسَائِلُ أَبِي دَاوُدَ».

وَابْنُهُ هَذَا هو: النَّازِظُ عبدُ الله؛ وَيُكْنَى أَبَا بَكْرٍ، وهو إِمَامٌ جَلِيلٌ، أَخَذَ عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ غَيْرِهِ من عُلَمَاءِ وَقْتِهِ، وَتَبَحَّرَ فِي الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ وَحَدَّثَ. وله مَقَامٌ عَظِيمٌ فِي الْعِلْمِ، لَا يَقِلُّ عَنْ مَقَامِ أَبِيهِ أَوْ يُقَارَبُ مَقَامَ أَبِيهِ -رحمهما الله تعالى- فَجَاءَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مُتَضَمِّنَةً لِعَقِيدَةِ السَّلَفِ.



[الْتَمَسْكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ]<sup>(١)</sup>

١ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهَدْيَ وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

بَدَأَ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَظْمَهُ بِقَوْلِهِ: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ): أَي: تَمَسَّكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - بِحَبْلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَمِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ»<sup>(٢)</sup>.

فَهَذَا الْبَيْتُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَحَبْلُ اللَّهِ هُوَ: الْقُرْآنُ وَسُنَّةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى نَقُولُ: حَبْلُ اللَّهِ هُوَ وَحْيُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَوَاءً كَانَ قُرْآنًا أَوْ سُنَّةً.

وَقَوْلُهُ: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ): يَعْنِي: اعْتَصِمْ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ

(١) العناوين التي بين معكوفين [ ] ليست من أصل الكتاب المتن، وليست من صنع صاحب المنظومة، وإنما أوردت للتوضيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣-٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤-١٢٧)، والدارمي (٩٥) «البغا»، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٧/١-٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٦١٧-٦٢٤)، والحاكم في «المستدرک» (٩٥/١) من حديث العرياض ابن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ»<sup>(١)</sup>، هذه الثلاث منها الاعتصام بحبل الله؛ لأنه يقي من الافتراق والاختلاف، فلا يحصل الاختلاف والافتراق إلا بسبب عدم التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كافتراق أهل الكتاب، مع أن الله أنزل عليهم التوراة والإنجيل، ولكن لما لم يعتصموا بحبل الله تفرقوا واختلفوا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، هذه طريقة أهل الكتاب أنهم تركوا كتاب ربهم فتفرقوا.

وهذه نتيجة حتمية لكل من لا يأخذ دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن النتيجة الاختلاف والتفرق، قال الله تعالى: ﴿وَلِنَّ هَذِهِ أُمَمٌكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ٥٢ فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[المؤمنون: ٥٢-٥٣]، كُلُّ أَحَدٍ لَهُ مَذْهَبًا وَمِنْهُمْ جَائِلٌ بِهِ غَيْرُهُ، فَحَصَلَتْ فتنٌ عظيمة، وشُرورٌ كثيرة لا عاصم منها إلا بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا سيما في الأصل والأساس وهو العقيدة التي يجمع الله بها بين الناس؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٦ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: ٦٢-٦٣].

فلا يؤلف بين القلوب كثرة العطاء، وكثرة الأموال، بل هذه تزيد القلوب نفرة وتباغضا، مهما أنفقت من الأموال فلن تؤلف بين القلوب، وإنما الذي يؤلف بين

(١) أخرجه مسلم (١٠) (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا... فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».

القلوب هو القرآن والسنة، وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى مما وقعت فيه الأمم السابقة من تفرقها بعدما جاءتها البينات، فقال تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، ليس لهم عذر؛ لأن الله بين لهم، ولكنهم تركوا هذه البيينة فتفرقوا، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام يصلي من الليل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تُهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(١)</sup>، وهذا دُعاء عظيم يعصم الله به المسلم من الأهواء والفتن والشُرور.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَاتَّبِعِ الْهُدَى):

والهدى: هو الذي بُعث به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، و«الهدى»: هو العلم النافع، و«دين الحق»: هو العمل الصالح.

ونقرأ في آخر الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠) (٧٧٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

- الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.
- وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: هُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِلْمَ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ.
- وَالضَّالُّونَ: هُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَمَلَ وَتَرَكُوا الْعِلْمَ، كَالْمُتَصَوِّفَةِ وَالْعِبَادِ الْجَهَّالِ.

والهْدَى والهدايةُ على قِسْمَيْنِ<sup>(١)</sup>:

**القِسْمُ الْأَوَّلُ:** الهْدَى بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ وَبَيَانِ الْحَقِّ، وَهَذِهِ هِدَايَةُ عَامَّةٌ، وَاللَّهُ هَدَى النَّاسَ جَمِيعًا بِمَعْنَى أَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ، وَوَضَّحَهُ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، فَهَذِهِ هِدَايَةُ دَلَالَةٍ وَإِرْشَادٍ.

**القِسْمُ الثَّانِي:** هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ بِالْحَقِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ، وَهَذِهِ هِدَايَةُ خَاصَّةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَمْلِكُهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا يَمْلِكُ هِدَايَةَ الْقُلُوبِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وهِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ يَمْلِكُهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ، كُلُّهُمْ يَدُلُّونَ عَلَى الْحَقِّ وَيُبَيِّنُونَهُ وَيُصَرِّحُونَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ -تعالى- لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وَرَبِّمَا يَقُولُ قَائِلٌ: لَمَّاذَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ فِي آيَةٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، أَلَيْسَ هَذَا تَعَارُضًا؟  
**الجواب:** لَيْسَ هَذَا تَعَارُضًا، حَاشَا وَكَلاَّ، بَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] يَعْنِي: تَدُلُّ وَتُرْشِدُ وَتُبَيِّنُ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي

(١) راجع أقسام الهداية في «شفاء العليل» لابن القيم (ص ٦٥)، ط. دار الفكر.

مَنْ أَحْبَبْتُ ﴿[القصص: ٥٦]: يَعْنِي: لَا تَقْدِرُ عَلَى تَوْفِيقِ النَّاسِ وَقَبُولِهِمُ الْحَقَّ، فَهَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْآيَتِينَ، وَإِنَّمَا تَتَعَارَضُ عِنْدَ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، أَمَّا الْبَصِيرُ بِالْقُرْآنِ، وَالْبَصِيرُ بِالْعِلْمِ فَلَا يَتَعَارَضُ عِنْدَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَالْقُرْآنُ لَا يَتَعَارَضُ أَبَدًا، وَالسُّنَّةُ لَا تَتَعَارَضُ؛ لِأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي الَّذِي يَفْهَمُ وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدَلَّةِ.

قَوْلُهُ: (وَلَا تَكْ بِدْعِيًّا):

هَذَا نَهْيٌ، وَالْبِدْعِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى الْبِدْعَةِ، وَالْبِدْعَةُ: مَا أُحْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَاللَّهُ نَهَانَا عَنِ الْإِبْتِدَاعِ فَهُوَ الدِّينُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَذَرْنَا مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ.

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، فَالِدِّينُ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تُضَيَّفَ إِلَيْهِ أَشْيَاءٌ تَسْتَحْسِنُهَا أَوْ تَقْلُدُ فِيهَا غَيْرَكَ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ لِتَقْرُبَ بِهَا إِلَى اللَّهِ؛ كَالْأَذْكَارِ الْبِدْعِيَّةِ، وَالصَّلَوَاتِ الْبِدْعِيَّةِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ فَهُوَ بِدْعَةٌ، وَلَوْ كَانَتْ نِيَّةُ صَاحِبِهِ حَسَنَةً وَيُرِيدُ الْأَجْرَ، وَيُرِيدُ الثَّوَابَ، وَلَا يُرِيدُ الْمُخَالَفَةَ، لَكِنْ رَأَى أَنَّ هَذَا فِيهِ خَيْرٌ فَاسْتَحْسَنَهُ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ، لَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ لَجَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فَكُلُّ الْخَيْرِ وَكُلُّ الْهُدَايَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَمَنْ جَاءَ بِزِيَادَةٍ لَيْسَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهِيَ بِدْعَةٌ مَرْدُودَةٌ.

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>، «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup>، فلا يجوز الإحداث في الدين، أو عمل شيء لم يأت به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُتقرب به إلى الله! هذا بدعة، وكل بدعة ضلالة.

**والبدعة في اللغة:** ما أحدث على غير مثال سابق؛ كأن تقول: هذا الشيء بديع، يعني: جديد، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي أحدثهما على غير مثال سبق، ويقول لنبیه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، يعني: ما أنا أول رسول، بل قبلي رسل كثيرون، فأنا لست بدعًا، يعني: جديدًا لم يسبق مثلي في الأمم السابقة، فكيف تُنكرون عليّ أنّي رسول الله وقبلي رسل كثيرون؟!

**أما البدعة في الشرع:** فهي ما أحدث في الدين مما ليس منه، وليس له دليل من كتاب الله، أو سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والبدع ليس فيها خير، فهي تُبعد عن الله، وتغضب الله عزَّ وجلَّ أمَّا السننُ فإنها خيرٌ كُلُّها، يرضاها الله ويحبها، ويثبت عليها.

كما أن الله تعالى يُبغض البدع ويُبغض أهلها، ويُعاقب عليها.

فلا مجال للزيادات والإضافات والاستحسانات، واتباع الناس على ما هم عليه، حتى نعرف دليلهم، فإن كانوا على حقٍّ اتبعناهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، هذا الاتباع على الحق، أمَّا إذا كانوا على غير حقٍّ فإننا لا نتبعهم، ولو كانوا من أفضل الناس.

(١) رواه مسلم (١٨) (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧) (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والتَّصَارَى لَمَّا أَحَدَثُوا الرَّهْبَانِيَّةَ الَّتِي مَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ضَلُّوا بِهَا، وَأَيْضًا مَا قَامُوا بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ أَنْ يَقُومُوا بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ مَا لَا تُطِيقُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، فَعَجَزُوا عَنْهَا وَتَرَكُوهَا ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧] أَيْ: أَحَدَثُوهَا يَتَّبِعُونَ بِهَا رِضْوَانَ اللَّهِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالذَّلِيلِ لَا بِالْمُقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ فَقَطْ.

**فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْبِدْعَةَ شَرٌّ، وَإِنْ زَعَمَ أَصْحَابُهَا أَنَّهَا خَيْرٌ!**

وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ الْبِدْعَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ: بِدْعَةٍ حَسَنَةٍ، وَبِدْعَةٍ سَيِّئَةٍ<sup>(١)</sup>! فنقول: الْبِدْعُ فِي الدِّينِ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٢)</sup>، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْبِدْعِ بِدْعَةً حَسَنَةً، فَإِنَّهُ يَكُونُ مَكْذَبًا لِقَوْلِ

(١) قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْإِعْتَصَامِ» (١/ ١٨٨-١٩٣)، ط. المكتبة التجارية: (ومما يورد في هذا الموضوع أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَسَمُوا الْبِدْعَ بِأَقْسَامِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْخَمْسَةِ، وَلَمْ يَعْدُوهَا قِسْمًا وَاحِدًا مَذْمُومًا، فَجَعَلُوا مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ، وَمَنْدُوبٌ، وَمُبَاحٌ، وَمَكْرُوهٌ، وَمَحْرَمٌ، وَبَسَطَ ذَلِكَ الْقَرَا فِي بَسْطًا شَافِيًا، وَأَصْلُ مَا أَتَى بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْخُهُ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ)، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ كَلَامَ الْقَرَا فِي وَشَيْخِهِ فِي تَقْسِيمِ الْبِدْعَةِ، قَالَ: «.... هَذَا التَّقْسِيمُ أَمْرٌ مُخْتَرَعٌ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِي، بَلْ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُتَدَافِعٌ؛ لِأَنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِدْعَةِ أَنَّ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِي لَا مِنْ نصوصِ الشَّرْعِ وَلَا مِنْ قَوَاعِدِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ مِنَ الشَّرْعِ عَلَى وَجُوبٍ أَوْ نَدْبٍ أَوْ إِبَاحَةٍ لَمَا كَانَ ثُمَّ بَدْعَةً، وَلَكِنْ الْعَمَلُ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الْأَعْمَالِ الْمَأْمُورِ بِهَا أَوْ الْمَخْتَرَعِ فِيهَا، فَالْجَمْعُ بَيْنَ أَنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بَدْعٌ، وَبَيْنَ كَوْنِ الْأَدْلَةِ تَدَلُّ عَلَى وَجُوبِهَا أَوْ نَدْبِهَا أَوْ إِبَاحَتِهَا جَمْعٌ بَيْنَ مُتَنَافِيَيْنِ. أَمَّا الْمَكْرُوهُ مِنْهَا وَالْمَحْرَمُ فَمُسَلَّمٌ مِنْ جِهَةٍ كَوْنُهَا بَدْعًا لَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ إِذْ لَوْ دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى مَنَعِ أَمْرٍ أَوْ كَرَاهَتِهِ لَمْ يُثْبِتْ ذَلِكَ كَوْنَهُ بَدْعَةً؛ لِإِمْكَانِ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، كَالْقَتْلِ وَالسَّرْقَةِ وَشَرَبِ الْخَمْرِ وَنَحْوِهَا، فَلَا بَدْعَةً يَتَصَوَّرُ فِيهَا ذَلِكَ التَّقْسِيمُ أَلْبَتَّةَ إِلَّا الْكَرَاهِيَّةُ وَالتَّحْرِيمُ حَسْبِهَا يَذْكُرُ فِي بَابِهِ.

فَمَا ذَكَرَهُ الْقَرَا فِي عَنْ الْأَصْحَابِ مِنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى إِنْكَارِ الْبِدْعِ صَحِيحٌ، وَمَا قَسَمَهُ فِيهَا غَيْرُ صَحِيحٍ) أَهْ بِتَصْرِفِ.

(٢) وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، أَخْرَجَهُ =

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وقوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زِدٌّ»، فَلَا تُوجَدُ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ فِي الدِّينِ أَبَدًا.

أَمَّا مَا سَمَّوْهُ مِنَ الْبِدْعِ الْحَسَنِ؛ كِبْنَاءِ الْمَدَارِسِ، وَالرُّبُطِ، وَتَأْلِيفِ الْكُتُبِ.

فنقول: هَذِهِ لَيْسَتْ بِدْعًا، بَلْ هِيَ مِمَّا حَثَّ الدِّينُ عَلَيْهِ، وَهِيَ وَسَائِلُ إِلَى أُمُورٍ مَشْرُوعَةٍ، فَقَدْ حَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ وَسَائِلِ الْخَيْرِ، وَهِيَ مُعِينَةٌ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ. فَهِيَ لَيْسَتْ بِدْعًا، وَقَدْ جَاءَ بِهَا الدِّينُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»<sup>(١)</sup>، فَاَلْمَقْصُودُ بِهِ أَنَّهُ: أَحْيَا سُنَّةً قَدْ أُمِيتَتْ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ اقْتَدَى بِهِ فَعَمِلَ بِهَا، فَهَذِهِ لَيْسَتْ بِدْعَةً حَسَنَةً، وَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ.

فَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَعَمَلُ مَا يُعِينُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مِنْ فَتْحِ الْمَدَارِسِ، وَإِنْشَاءِ الْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ، وَفَتْحِ الرُّبُطِ لَطَلِبَةِ الْعِلْمِ، هَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُعِينُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا، وَلَيْسَ مِنَ الْبِدْعِ.

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْمُبْتَدَعَةُ فِي غَيْرِ الدِّينِ، كَصِنَاعَةِ الطَّائِرَاتِ وَالسِّيَّارَاتِ، وَالْمَرَائِبِ الْبَحْرِيَّةِ، فَهَذِهِ أُمُورٌ مُبَاحَةٌ وَلَيْسَتْ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَسَخَّرَ

= مسلم (٤٥) (٨٦٧)، وقد وردت هذه الجملة مختصرة ومطولة من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وأبي داود (١٠٩٧)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ووردت في حديث العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. سبق تخرجه (ص ٤١).

(١) أخرجه مسلم (٦٩) (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴿١٣﴾ [الجاثية: ١٣]، لأجلِ منافعِكُمْ ومصالحِكُمْ، فهذه لا تدخلُ في العباداتِ، لكن قد يُستعانُ بها لأداءِ العبادَةِ: فركبُ السيَّارة للحجِّ، أو لصلةِ الرَّحمِ، أو تحصيلِ المباحاتِ، وتركُها للتجارة، وللنزهة، وهذه كلها من منافعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ التي أباحها الله لنا، فليست بدعة؛ لأنها ليست من الدين، بل هي من العاداتِ والمباحاتِ، فلا نسميها بدعةً، إلا إن كان من ناحية اللغة؛ لأنَّها شيءٌ جديدٌ، وَلِكونِها ظَهَرَتْ في وَقْتٍ، ولم تظهرْ فيما قبله؛ حيثُ قَدِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا.

فينبغي معرفة هذه الأمور؛ لأنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ يُلبِّسونَ على النَّاسِ، ويقولون: هل كلُّ شيءٍ بدعة؟! فنقول: لا، ليس كلُّ شيءٍ بدعةً، بل البدعُ هي ما أُحْدِثَ في الدينِ ممَّا ليسَ منه، وليسَ له دليلٌ من كتابِ الله، أو سنَّةِ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أمَّا ما عداها فليس بدعةً، وإنَّما هو ممَّا أباحَ الله لعباده. ففرقٌ بينَ هذا وهذا.

وَقَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (لَعَلَّكَ تَفْلِحُ):

يعني: إذا أردتَ الفلاحَ، وهو السَّعادةُ في الدُّنيا والآخرة فتمسَّكْ بحبلِ الله، واتَّبِعِ الْهُدَى، هذا هو سَبِيلُ الْفَلَاحِ. والفلاحُ هو: كثرةُ الخيرِ ونيلُ السَّعادةِ، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢]، إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩-١١]، فهذه هي أسبابُ الْفَلَاحِ.

فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الْفَلَاحَ فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

١- تَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ.

٢- وَاتَّبِعِ الْهُدَى.

٣- وَتَجَنَّبِ الْبِدْعَ.

فَإِنْ أَخْلَلْتَ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَإِنَّكَ تَخْسِرُ وَلَا تُفْلِحُ أَبَدًا، قَالَ تَعَالَى:  
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ  
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، فَضِدُّ الْفَلَاحِ: هُوَ الْخَسَارُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -  
وَلَمْ يَخْسِرُوا الْأَمْوَالَ، بَلْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ. وَكَوْنَ الْإِنْسَانِ يَخْسِرُ نَفْسَهُ هَذَا أَشَدُّ أَنْوَاعِ  
الْخَسَارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا  
ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وَقَوْلُهُ: (لَعَلَّكَ):

هَذَا رَجَاءٌ؛ لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ أَلَّا نَجْزِمَ لِأَحَدٍ بِفَلَاحٍ إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَأْتِ فِي  
الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ تَعْيِينُهُ أَنَّهُ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، فَإِنَّا لَا نَجْزِمُ لَهُ بِالْفَلَاحِ، وَلَكِنْ نَرْجُو  
لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ، وَأَيْضًا الْمُسْلِمُ لَا يَغْتَرُّ بِعَمَلِهِ.

فَمَعْنَى قَوْلِهِ: (لَعَلَّكَ تَفْلِحُ): أَي لَا تَغْتَرَّ بِعَمَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِالْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَةِ، وَتَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى الرَّجَاءِ فَحَسْبُ بِدُونِ  
عَمَلٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ الضَّالِّينَ، وَهَذَا هُوَ الرَّجَاءُ الْمَذْمُومُ، وَالرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ هُوَ  
الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ. فَتَعْمَلُ السَّبَبَ وَتَرْجُو مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.



٢ وَدُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْجُحُ

## — — — — — الشَّرْحُ — — — — —

**قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَدُنْ):** يعني: اتَّبِعْ فِي دِينِكَ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّبِعْ سُنَنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاجْعَلْ عَمَلَكَ مَا خُودًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ مَا خُودًا عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ.

**قوله: (وَالسُّنَنِ):** جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَائِلِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»<sup>(١)</sup>، أَيْ: طَرِيقَتِي.

وَأَمَّا عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَفِي عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، فَالسُّنَّةُ: هِيَ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ صِفَةٍ.

فَلَهَا إِطْلَاقٌ عَامٌّ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِطْلَاقُهَا الْخَاصُّ هُوَ تَفْصِيلُ الْمُحَدِّثِينَ.

وَهَذَا فِيهِ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِالسُّنَّةِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، فَالسُّنَّةُ هِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي مِنْ مَصَادِرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَأُصُولُ الْاِسْتِدْلَالِ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ مِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، لَكِنَّ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أُصُولٍ:

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

الْأَصْلُ الثَّانِي: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا الْوَحْيُ الثَّانِي بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾  
 [النور: ٦٣]، هذا هو الأصل الثاني، وهو سنة الرسول ﷺ، وهو صلى الله عليه وسلم  
 كما وصفه ربه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]؛ ولهذا  
 يصفها العلماء بالوحي الثاني بعد القرآن الكريم.

فَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِب عَلَيْنَا أَخْذُهُ وَاتِّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ،  
 سَوَاءً كَانَ مُتَوَاتِرًا أَوْ آحَادًا، خِلَافًا لِلْمُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ السُّنَّةَ، وَيَقُولُونَ: يَكْفِينَا  
 الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ!

وَمِنَ الْمَعْلُومِ وَالْمَقْرَّرِ أَنَّ الْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ مِنَ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ:  
 ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ:  
 يَكْفِينَا الْقُرْآنُ!

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَقَالَ: ﴿وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

فَهَؤُلَاءِ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ: نَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ! فَهَمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ، لَمَّا عَطَّلُوا السُّنَّةَ.

وَأَيْضًا فَالْقُرْآنُ فِيهِ مُجْمَلَاتٌ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الَّتِي تُبَيِّنُهَا وَتَفْصِّلُهَا، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا  
 يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فَالسُّنَّةُ  
 لَهَا ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهَا بَيَانٌ لَهُ وَتَوْضِيحٌ، وَهِيَ تَفْصِيلٌ لِمُجْمَلِهِ، وَتَقْيِيدٌ  
 لِمُطْلَقِهِ. وَقَدْ يُنْسَخُ الْقُرْآنُ بِالسُّنَّةِ، وَالسُّنَّةُ بِالْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةُ بِالسُّنَّةِ،  
 فَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبِ الْعَظِيمَةِ.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ مَنْزِلَةُ السُّنَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَكَانَتُهَا فِي الْإِسْلَامِ.

وهؤلاء الذين يُعرضون عن السنة قد أخبر عنهم النبي ﷺ، وحذر منهم؛ فقال: «أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ مُتَكَبِّرٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَخْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ! أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (١).

وكذا قوله ﷺ: «أُوتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» يعني: السنة.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة.

فالسنة لأبد منها، وهي الأصل الثاني من أصول الأدلة المجمع عليها.

ولا عبرة بخلاف هؤلاء الذين يُعرضون عنها؛ لأنهم إمّا خوارج، أو جهال، أو متعالمون، أو لهم أغراض سيئة يريدون إطفاء الدين شيئاً فشيئاً، فلا يعتد بخلافهم، ولا ينظر إلى قولهم، بل يؤخذ بالسنة الصحيحة: سواء في الفروع أو في الأصول.

ولا يعتد بقولهم: أخبار الأحاد لا يؤخذ بها في العقائد إنما يؤخذ بها في الفروع؛ لأنها أدلة ظنية!!

نقول: ظنية عندكم، أمّا عند أهل الإيمان فهي ليست ظنية، بل هي تفيد اليقين، ما دامت صحّت عن رسول الله ﷺ، فهي تفيد العلم، وليست ظنية، فيؤخذ بها في العقائد والمعاملات، وفي غيرها.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (١٣١/٤)، وابن حبان (١٨٨/١) من حديث المقدم بن معد يكرب، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٣٢/٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٣/٢٠).

**الأصل الثالث:** الإجماع، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»<sup>(١)</sup>، فالإجماع القولي حُجَّة قاطعة، أمَّا الإجماع السكوتي فإنه حُجَّة ظنية؛ لأنه قد يكون هناك مخالِف ولم يَتَيَّنْ، ولكن إذا قال العلماء كلهم قولاً وأجمعوا عليه، ولم يُخَالِفْ فيه أحدٌ، فهو حُجَّة قاطعة.

**الرابع:** القياس: وهو إلحاق الفرع بالأصل في الحكم لعلّة تَجْمَع بينهما. وهو ما يُسَمُّوهُ «قياس العلة»، وقد قال به جمهورُ أهل العلم، وأنكره الظاهرية، وبعض الحنابلة، وطوائف قليلة من أهل العلم، ولكن جمهور الأمة على القول بالقياس، وهو دليلٌ صحيحٌ إذا توفّرت شروطه المذكورة في كُتُب الأصول.

تَبَقِيَ عدّةُ أصولٍ مثل: قول الصّحابيّ، ومثُل: استِصْحَابِ الْأَصْلِ، هذه أمورٌ اختلفَ العلماءُ فيها، والخلافُ فيها قويٌّ.

أمَّا الخلافُ في القياسِ فهو خلافٌ ضعيفٌ، والجمهورُ على الاحتجاج بالقياس، ولكن الإمام أحمد يقول: (القياس يُذهَبُ إِلَيْهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ)<sup>(٢)</sup>، مثلُ الميتة؛ حيثُ يُذهَبُ إِلَيْهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، فإذا وُجِدَ النّصُّ في كتابِ الله أو سنّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا حاجةَ إلى القياس، فإن لم يُوجدْ يُذهَبُ إلى القياسِ من بابِ الضَّرُورَةِ.

(١) هذا الحديث ورد عن عدة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، منهم: أبو مالك الأشعري عند أبو داود (٤٢٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٤٠)، وابن عمر عند الترمذي (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه، والحاكم في «المستدرک» (٢٠٠ / ١)، وأنس عند ابن ماجه (٣٩٥٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص ٢٠٤)، والذهبي في «السير» (١٠ / ٧٧).

فَقَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وَدَنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَزِيحُ

يعني: اجعل دينك مأخوذاً عن كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الأحاديثُ الصحيحة، أمَّا ما جاء عن غيره: فيُنظرُ فيه، فإن وافق الكتاب والسنة أخذ به، وإن خالف الكتاب والسنة فإنه يُردُّ على صاحبه. والأئمة يُوصون بهذا. يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١)</sup>: (إذا خالف قولي قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فخذوا بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واضربوا بقولي عُرْضُ<sup>(٢)</sup> الحائط). ويقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كُلُّنا رَاذٌ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر).

يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه كان يُدرِّسُ في المسجد النبوي، فيقول: (إلا صاحب هذا القبر)، فالرسول لا يُردُّ عليه أبداً، وإنما يُقبل قوله عليه الصلاة والسلام، أمَّا غيره فإن وافق الكتاب والسنة أخذ به وإن خالف يُردُّ.

والإمام أبو حنيفة وهو أول الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ اللَّهُ يقول: (إن جاء الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن أصحاب

(١) انظر: أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء في: «قواعد التحديث» للقاسمي (ص ٢٧٣)، ط. دار الكتب العلمية، و«سير أعلام النبلاء» (١٠ / ٣٥)، و«الرد على الأخنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٨٥)، ط. المطبعة السلفية، و«الصارم المسلول» له (١ / ٣٠٦)، ط. دار ابن حزم، بيروت، و«إعلام الموقعين» لابن القيم (٣ / ٢٨٧)، ط. دار الجيل، و«تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٦٣)، ط. مكتبة التراث الإسلامي.

(٢) عُرْضُ الحائط: بضم العين وسكون الراء المهملتين، أي: جانبه ووسطه، كذا قال الحافظ في «فتح الباري» عند شرحه لحديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ» كتاب (٩)، «مواقيت الصلاة»، باب (١١) وقت الظهر عند الزوال رقم (٥٤٠)، (٣٠ / ٢).

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَإِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ التَّابِعِينَ فَهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ). يعني: الذي جاء عن غير الله ورَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ يُنْظَرُ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ مَنْ جَاءَ عَنْهُ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ، وَلَوْ كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ: فَإِنْ وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ أَخَذْنَا بِهِ، وَإِنْ خَالَفَ تَرَكْنَاهُ.

وقال الإمام أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّحْتَهُ يَذْهَبُونَ لِرَأْيِ سَفِيانٍ)! [أي: سفيان الثوري الفقيه الإمام الجليل]، قال: والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فلا يجوزُ أخذُ قولِ الفقيهِ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى دَلِيلٍ صَحِيحٍ، أَمَّا إِنْ كَانَ مُحَالِفًا لِلدَّلِيلِ فَلَا يُؤْخَذُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا قَوْلَ لِأَحَدٍ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].



## [عَقِيدَةُ السَّلَفِ فِي كَلَامِ اللَّهِ عَزَّجَل]

٣ وَقُلْ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ كَلَامٍ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

## ————— ❦ ————— الشَّرْحُ ❦ —————

مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يَشْكُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَوْحَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ، وَنَزَلَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَلَغَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأُمَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِئَلَّا نُنْزِلَ رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشُّعْرَاءُ: ١٩٢-١٩٥﴾.

﴿لِنُنْزِلَ رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: تَكَلَّمَ بِهِ وَنَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: وَهُوَ جِبْرِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ.

﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: هَذَا خِطَابٌ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ تَلَقَّاهُ

عَنْ جِبْرِيلَ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: لُغَةُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَهِيَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَئِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿التَّكْوِيرُ: ١٩﴾، يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التَّكْوِيرُ: ٢٠]: وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿مَكِينٍ﴾ [التَّكْوِيرُ: ٢٠]: يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ قُوَّةً، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ مَكَانَةً

وَقَرَّبًا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا.

﴿مُطَاعٍ ثُمَّ﴾ [التَّكْوِيرُ: ٢١]: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿أَمِين﴾ [التكوير: ٢١]: آمينٌ على وحي الله عزَّ وجلَّ.

هذه أوصافُ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو آمينٌ على وحي الله، لا يَزِيدُ فيه ولا يَنْقُصُ، وإنما يُبَلِّغُهُ كما تحمَّله عن الله جلَّ وعَلا.

ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ [التكوير: ٢٢]: يعني محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿يَمَجْنُونِ﴾ [التكوير: ٢٢]: كما يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، نفَى عنه الجُنُون.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [التكوير: ٢٣]: أي: رأى جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته المَلَكِيَّةِ، رآه فوقه ببطحاءِ مَكَّةَ<sup>(١)</sup>.

﴿بِالْأَفْقِ﴾ [التكوير: ٢٣]: يَعْنِي: عَنَانَ السَّمَاءِ، رآه رُؤْيَا عِيَان.

ثم قال جلَّ وعَلا: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]: أي: رأى محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريلَ على صورته مرَّةً ثانيةً عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ليلةَ المِعْرَاجِ<sup>(٢)</sup>. فنبينا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريلَ على صورته التي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ. مرَّةً في مَكَّةَ، ومرَّةً في المَلَأِ الْأَعْلَى

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، قال زر بن حبیش في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ① فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ② [النجم: ٩-١٠]، حدثنا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه رأى جبريلَ له ستائة جناح)، ورواه مسلم (٢٨٠) (١٧٤)، ورواه البخاري أيضاً (٣٢٣٥) من حديث عائشة قالت: (ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق)، ورواه مسلم (٢٨٧) (١٧٧) (٢٩٠).

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزَّ وجلَّ على الصورة التي خلقها الله عليها له ستائة جناح: ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ⑤ ذُو مِرْفَقٍ فَاسْتَوَى ⑥ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑨ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ٥-١٠].»

انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣٠/٩)، ط. المنار.

(٢) روى مسلم (٢٨٠) (١٧٤) في «الإيمان»، باب في ذكر سِدْرَةِ الْمُنتَهَى: قال زر بن حبیش عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) قال: رأى جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ له ستائة جناح».

عند سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّ جَبْرِيلَ يَأْتِي إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ يَرَوْنَهُ رَجُلًا؛ لَأَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَاهُ عَلَى صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ.

فَهَذَا تَوْثِيقٌ لِسَنَدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنَّهُ تَلَقَّاهُ أُمَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ جَبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ.

وَأَمَّا إِضَافَتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، وَإِضَافَتُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فَهِيَ إِضَافَةٌ تَبْلِيغٌ، فَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِلَاهُمَا مُتَحَمِّلٌ وَمُبَلِّغٌ لِكَلَامِ اللَّهِ.

وَالْكَلَامُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ ثَلَاثَةٍ، فَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَامُهُ. وَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ، وَإِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ التَّبْلِيغِ فَحَسَبَ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ابْتِدَاءً، وَهُوَ كَلَامُ جَبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْلِيغًا عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

لَا يَشْكُ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا، أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، مَنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الزمر: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الزمر: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأأنعام: ١١٤].

وَرَوَى أَحْمَدُ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا (١/ ٤٦٠)، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [١٣] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى [النجم: ١٣-١٤]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «رَأَيْتُ جَبْرِيلَ وَلَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتُ: الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِي. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٠٧) مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى مَرْفُوعًا بِلَفْظٍ: «رَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى وَلَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ»، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

(١) انظر: الواسطية (ص ١٣٦) بشرح المؤلف حفظه الله، ط. مكتبة المعارف بالرياض.

والله جَدَّوَعَلَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ، فقال تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]،  
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فوصفه بِأَنَّهُ كَلَامُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي  
أَنزَلَهُ.

أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَهُ مِنَ  
اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَزَلَ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنِ  
اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. نَعَمْ هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾  
فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، ﴿وَلِأَنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّى حَكِيمٌ﴾  
[الزخرف: ٤]، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ بِلا شَكٍّ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَأْخُذْهُ  
عَنِ اللَّوْحِ - كَمَا تَقُولُهُ الْأَشَاعِرَةُ - وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنِ اللَّهِ جَدَّوَعَلَا، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةَ هَذَا؛  
لَأَنَّ هَذَا مَذْكُورٌ فِي عَقَائِدِ الْأَشَاعِرَةِ، وَقَدْ رَدَّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى  
هَذَا الْقَوْلِ فِي رِسَالَةٍ مَطْبُوعَةٍ - وَهِيَ أَيْضًا مَعَ فُتَاوَاهُ - سَمَّاها: «الْجَوَابُ الْوَاضِحُ  
الْمُسْتَقِيمُ فِي كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»<sup>(١)</sup>، رَدَّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَأَبْطَلَهُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ:  
بَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَسِيلَةً إِلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، كَمَا تَقُولُهُ  
الْجَهْمِيَّةُ، فَهَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ.

وَاللَّهُ جَدَّوَعَلَا مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ؛ كَمَا أَنَّهُ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ  
وَيُدَبِّرُ وَيَشَاءُ وَيُرِيدُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتَكَلَّمُ كَلَامًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، يَتَكَلَّمُ  
مَتَى شَاءَ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ.

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٤٩) رقم (١٥٩) وهي ردُّ على السيوطي في كتابه «الإتقان».

وكَلَامُهُ قَدِيمُ النَّوعِ حَدَثُ الْآحَادِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ: يَتَكَلَّمُ بِالْقُرْآنِ وَقْتَ نُزُولِهِ، وَيُكَلِّمُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَلَّمَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَلَّمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُ النَّاسَ، وَيُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَدِيمِ النَّوعِ لَا بِدَايَةٍ لَهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، حَدَثِ الْآحَادِ.

وسَائِرُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهَا كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَمِنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُهَا، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُهِمًّا عَلَيْهَا، فَهُوَ كَلَامُهُ جَلَّ وَعَلَا حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا، مُنَزَّلٌ مِنْهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيُصَرِّحُونَ بِهَذَا.

وَالْمُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَيْسَ عَنْدهُمْ شَكٌّ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا لَمَّا ظَهَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَقَالُوا: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ وَمُشْتَقَّاتُهُمْ، رَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَبَيَّنُّوا أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِبْطَالًا لِقَوْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَا يَكُونُ إِلَهًا؛ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ: ﴿يَتَأْتِيَ لِمَ تَعْبُدُهُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فَالَّذِي لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ جَمَادٌ، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيفَتِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، لَا يُكَلِّمُهُمْ؛ لِأَنَّهُ جَمَادٌ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَيْسَ بِإِلَهٍ؛ وَكَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا؟، يَعْنِي: لَا يَكَلِّمُهُمْ ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٨-٨٩]. وَ(أَنَّ) هَذِهِ لَيْسَتْ

المصدرية، بل هي المخففة من الثقلية، والأصل (أنه لا يرجع)، ولذلك صار الفعل مرفوعاً بعدها.

**فالحاصل:** أن الذي لا يتكلم لا يصلح للرُّبوبيَّة والإلهيَّة؛ لأنَّه ناقص، كيف يأمر، وكيف ينهى، وكيف يدبّر وهو لا يتكلم؟! هذا تعجيزُ الله عزَّ وجلَّ والله جلَّ وعلا يقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، ويقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فكلمات الله التي يأمر بها وينهى ويدبّر -دائماً وأبداً- لا تُحصى ولا تكتبها البحار وأقلام الدنيا.

**والجهمية يقولون:** كلامُ الله مخلوق!

فهذا فيه وصفُ الله بالعجز، وأنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى.

وفيه -أيضاً- أن هذا القرآن ليس كلام الله.

مع أن القرآن هو الأصل الأول من أصول الأدلة، فإذا كان ليس كلام الله فكيف يُستدلُّ به؟!

وهي دسيسةٌ يهوديةٌ؛ لأنَّ أصلَ مذهبِ الجهمية مأخوذٌ عن اليهود؛ كما ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالته الحموية<sup>(١)</sup>. أنه مأخوذٌ عن اليهود. وليس هذا غريبٌ على اليهود -لعنهم الله- الذين حرَّفوا كلامَ الله وبدَّلوا وغيرُوا، فهذه دسيسةٌ من اليهود ليُبطِلوا القرآن الذي بأيدي المسلمين، فهذا مذهبٌ خبيثٌ؛ ولهذا انبرى الأئمةُ إلى رده وإبطاله، وبيان أنه زيفٌ مدسوسٌ.

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» (ص ٢٣٢-٢٣٥)، ط. دار الصميعي.

أَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مَسْأَلَةَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْإِهْتِمَامِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ - كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُتَحَذِّقِينَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُعَاصِرِينَ، وَمَنْ يَتَسَمَّى بِالْعِلْمِ - فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَهَذَا تَهْوِينٌ مِنْ مَسْأَلَةِ خَطِيرَةٍ لَا يَنْبَغِي التَّسَاهُلُ فِيهَا، فَلَيْسَ هِيَ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ.

وَهَذَا الْكَلَامُ تَسْفِيَةٌ لِلْأَثَمَةِ الَّذِينَ اهْتَمُّوا بِرَدِّهَا، وَعُذِّبَ مَنْ عَذَّبَ بِسَبَبِهَا كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي رَدِّهَا، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يَقُولُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَافِهَةٌ وَلَا تَتَحَمَّلُ كُلُّ هَذَا!

فَهَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا لَا يَدْرِي عَنْ شَيْءٍ، وَإِمَّا أَنَّهُ مُتَجَاهِلٌ مُبْطِلٌ يُرِيدُ أَلَّا يُرَدَّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: النَّاسُ أَحْرَارٌ، لَا تُحَجَّرُوا عَلَيْهِمْ حُرِّيَّةُ الْقَوْلِ وَحُرِّيَّةُ الْكَلِمَةِ! يَعْنِي: لَا تَرُدُّوا الْبَاطِلَ، وَلَا تُبَيِّنُوا الْحَقَّ، كُلُّ لَهُ كَلَامُهُ، وَكُلُّ لَهُ قَوْلُهُ! فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الدُّنْيَا فَوْضَى.

فَيَنْبَغِي التَّفَقُّنُ هَذِهِ الدَّسَائِسِ، وَهَذِهِ الشُّرُورِ الَّتِي تُحَاكُّ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَقُلْ غَيْرُ خَلْقٍ): هَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: (كَلَامٌ مَلِكِنَا): الْمَلِكُ هُوَ الْمَلِكُ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الْمَلِكُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وَقَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ، وَأَمَّا الْمُلُوكُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَإِنَّمَا مُلْكُهُمْ عَارِيَّةٌ: يُؤْتِيهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَنْزِعُهَا مِنْهُمْ

وَيُعْطِيهَا لِلْآخِر، فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّدَاوُلِ. أَمَّا الْمُلْكُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَزُولُ فَهُوَ مُلْكُ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا، وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]: فَلَا أَحَدَ يُجِيبُ، وَلَا أَحَدَ يَتَكَلَّمُ، فَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ دَعْوَى لَقَالَ: الْمُلْكُ لِي، ثُمَّ يُجِيبُ اللَّهُ جَلَّوَعَلَا نَفْسَهُ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر: ١٦]، وَلَا أَحَدٌ يُعَارِضُ فِي هَذَا، فَالْمُلْكُ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا وَإِنَّمَا يَهَبُ مَنْ يَشَاءُ شَيْئًا مِنَ الْمُلْكِ مَدَّةً مُحَدَّدَةً، ثُمَّ إِنَّمَا أَنْ يَمُوتَ، أَوْ يُؤْخَذُ مِنْهُ الْمُلْكُ وَيُنَزَّعُ بِالْقُوَّةِ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (بِذَلِكَ): أَي: بِأَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

قَوْلُهُ: (دَانَ الْأَتَقِيَاءُ): يَعْنِي: اعْتَقَدَ الْأَتَقِيَاءُ مِنَ الْأُئِمَّةِ هَذَا الْقَوْلَ.

قَوْلُهُ: (وَأَفْصَحُوا): أَي: أَظْهَرُوهُ لِلنَّاسِ، وَقَالُوا: الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. لَمْ يَسْكُتُوا وَيَقُولُوا: هَذِهِ آرَاءُ، وَتَرَكُوا النَّاسَ عَلَى حُرِّيَةِ الْكَلِمَةِ، وَحُرِّيَةِ الرَّأْيِ، بَلْ إِنَّهُمْ أَفْصَحُوا غَايَةَ الْإِفْصَاحِ، وَنَظَرُوا وَجَادَلُوا، وَأَلْفَوْا وَكُتِبُوا فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ؛ لَخَطُورَتِهِ وَشَنَاعَتِهِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَنْقُصِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَلَا يَسَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ أَنْ يَسْكُتُوا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ أَوْ يَتَسَاهَلُوا فِيهِ.



## [قَوْلُ الْوَاقِفَةِ فِي الْقُرْآنِ]

٤ وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ بَجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

————— ❦ —❦———— الشَّرْحُ —❦ —❦————

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا»:

مِنَ الْجَهْمِيَّةِ مَنْ يُصْرِّحُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَهُمْ رُؤُوسُ الْجَهْمِيَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَا أَقُولُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بَلْ أَتَوَقَّفُ!

وَهَذَا شَيْطَانٌ أُخْرَسُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ تَوَهَّمِ النَّاسُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَلَا بَدَّ

مِنَ الْبَيَانِ، فَإِذَا قَالُوا: مَخْلُوقٌ، فَلَا تَتَوَقَّفُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّكَ تُؤَيِّدُهُمْ وَلَكِنَّكَ لَا تُصَرِّحُ، فَلَا يَجُوزُ التَّوَقُّفُ فِي هَذَا.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْوَاقِفَةِ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهَذَا مَعْنَاهُ

كَتْمَانِ بَيَانِ الْحَقِّ، وَيُعْطِي احْتِمَالًا لِقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ صَحِيحٌ؛ حَيْثُ لَمْ يُرَدَّ وَلَمْ يُفْضَحْ وَلَمْ يُكْشَفْ.

فَالَّذِي يَشْكُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَيَتَوَقَّفُ، هَذَا جَهْمِيٌّ،

وَالَّذِي لَوْ كَانَ لَيْسَ جَهْمِيًّا لَصَرَّحَ، وَقَالَ: الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَلَكِنَّهُ يَتَسَرَّعُ بِالتَّوَقُّفِ.

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ أَحْبَبُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ صَرَّحُوا وَعُرفَ مَذْهَبُهُمْ، أَمَّا هَذَا

فَهُوَ يَخْدَعُ النَّاسَ فِي أَنَّهُ مُتَوَرِّعٌ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقَوْلِ بِهَذَا الْأَمْرِ. فَلَا يَكْفِي التَّوَقُّفُ،

بَلْ لَا بَدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِبُطْلَانِ هَذَا الْقَوْلِ.

قوله: (كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ الْجَهْمِ وَأَسْجَحُوا):

جَعَلَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَتْبَاعِ الْجَهْمِيَّةِ لَمَا تَوَقَّفُوا، بَلْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَرِّحُونَ بِذَلِكَ؛ وَكَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ النَّاسَ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ لَجُّوا إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ؛ لَيْسْتُرُوا بِهَا بَاطِلَهُمْ؛ وَهَذَا لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ التَّوَقُّفِ قَالَ: لَوْ كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَقُولَ الْجَهْمِيَّةُ مَا قَالَتْ كُنَّا نَتَوَقَّفُ، أَمَّا بَعْدَ مَا قَالُوا قَوْلَتَهُمُ الشَّيْئَةَ فَلَا بَدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِبُطْلَانِهَا وَرَدِّهَا. هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْأَلَةِ التَّوَقُّفِ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

قوله: (وَأَسْجَحُوا)<sup>(١)</sup>: الْإِسْجَاحُ هُوَ التَّسَاهُلُ وَاللَّيْنُ، يَعْنِي: تَسَاهَلُوا.

وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (وَأَسْمَحُوا): مِنَ السَّحَاحِ، يَعْنِي: سَمَحُوا هَذَا، وَسَوَاءٌ أَسْجَحُوا أَوْ أَسْمَحُوا، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا، وَإِنَّمَا لَانُوا مَعَ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَلَمْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ، بَلْ تَوَقَّفُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.



(١) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «الْنَهَايَةِ» (٢/ ٣٤٢): (فِي حَدِيثٍ عَلِيٍِّّ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَالِ: وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مِشْيَةً سُجْحًا أَوْ سَجْحَاءَ، السُّجْحُ: السَّهْلَةُ، وَالسَّجْحَاءُ تَأْنِيثُ الْأَسْجَحِ، وَهُوَ السَّهْلُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قَالَتْ لَعَلِّي يَوْمَ الْجَمَلِ حَيْثُ ظَهَرَ: مَلَكَتْ فَأَسْجَحُ»، أَي: قَدَرْتُ فَسَهَّلْتُ وَأَحْسَنْتُ الْعَفْوَ. هُوَ مِثْلُ سَائِرِ. وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ الْأَكْوَعِ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ: «مَلَكَتْ فَأَسْجَحُ».)

• وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

## ————— ❦ ————— الشرح ❦ —————

وَهَذَا مَذْهَبُ ثَالِثٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

الْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.

الْمَذْهَبُ الثَّانِي: التَّوَقُّفُ، فَلَا يُقَالُ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: يَقُولُونَ: اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ!

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ احْتِيَالٌ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ. بَلْ لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ، إِنَّ قُلْتَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ وَلَمْ تُفْصِّلْ؛ فَهَذَا مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهَذَا - أَيْضًا - تَأْيِيدٌ لِقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَأَنْتَ أَدْخَلْتَ أَفْعَالَكَ مَعَ أَفْعَالِ اللَّهِ، وَجَعَلْتَ فَعْلَكَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ، وَيَجْعَلُونَ الْعِبَادَ هُمْ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ أَفْعَالَهُمْ وَيَخْلُقُونَهَا.

فَلَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ بِأَنْ تَقُولَ: مَاذَا تُرِيدُ بِقَوْلِكَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ، هَلْ تُرِيدُ التَّلَفُّظَ وَالصَّوْتَ، أَوْ تُرِيدُ الْمَلْفُوظَ بِهِ؟

- فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَلْفُوظَ بِهِ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِنَّمَا الْمَلْفُوظُ بِهِ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ

- أمّا إذا أردتَ به التَّلَفُّظَ الذي تَنطِقُهُ بلسانك فهذا مخلوقٌ، فلسانك مخلوقٌ، وصوتك مخلوقٌ، ولفظك مخلوقٌ. ولكنَّ المَلْفُوظَ به المؤدِّي باللفظ، هذا غيرُ مخلوقٍ. فلا بدَّ من التَّفْصِيلِ.

هم يريدون الإجمال، بأن تقول: لفظي بالقرآن مخلوقٌ، أو تقول: غيرُ مخلوقٍ. فيدخلون من هذه الحيلة. فلا بدَّ أن تُفَصِّلَ؛ لتقطعَ عليهم الطريقَ.

ولهذا يقول أهل السنة: الصَّوتُ صوتُ القاري، والكَلَامُ كلامُ الباري. أي: المَلْفُوظُ به كلامُ الله، وأمّا اللَّفْظُ والأداءُ فهو كلامُ المخلوقِ، صوته مخلوقٌ، ونطقه مخلوقٌ؛ ولهذا تختلفُ القراءاتُ والأصواتُ، بعضها حسنٌ، وبعضها غيرُ حسنٍ، وبعضها جيّدٌ، وبعضها غيرُ جيّدٍ، فهذا دليلٌ على أن الصَّوتَ مخلوقٌ. والقراءُ يختلفون: بعضهم يُعطى صوتًا حسنًا، وبعضهم يُعطى دُونَ ذلك، أمّا كلامُ الله جَلَّوَعَلَا فإنه لا بدَّ أن يكونَ في غايةِ الكمالِ.

وما كان ينبغي الدُّخُولَ في هذا، ولكن هم الذين أَلْجَأُوا المُسْلِمِينَ إلى هذا الشَّيْءِ، فلا بدَّ من كَشْفِهِ وبيانه، فهي مُصِيبَةٌ في الحقيقة، ولولا أن الله قَيَّضَ لها الأئمةَ لَيَبْسِنَهَا لالتبسَ على كثيرٍ من النَّاسِ هذا الأمرُ.

**فَمَذاهِبُهُمْ إِذَا ثَلَاثَةٌ:**

**الأوّلُ:** مذهبُ الجَهْمِيَّةِ القائلينَ بخلقِ القرآنِ.

**الثَّاني:** مذهبُ الوَاقِفَةِ.

**الثَّالثُ:** مذهبُ اللَّفْظِيَّةِ، الذين يقولون: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ.

فنقول لهم: لا بدَّ من التَّفْصِيلِ: فإن كُنتُمْ تريدون التَّلَفُّظَ بالصَّوتِ فهذا مخلوقٌ، وإن كُنتُمْ تريدون المَلْفُوظَ به والمُتَلَوِّ فإنه كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ؛ ولهذا جاء في الحديث:

«زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»<sup>(١)</sup>، فَيُطْلَبُ مِنَ الْقَارِئِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الصَّوْتُ الْحَسَنُ بِالْقُرْآنِ: كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ صَوْتًا حَسَنًا، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَسَمَّعُ لَهُ<sup>(٢)</sup>، وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ، وَقَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ غَيْرِي»<sup>(٣)</sup>، فَقَرَأَ عَلَيْهِ أَوَّلَ سُورَةِ النَّسَاءِ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِبُّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ بِالْقُرْآنِ، وَالصَّوْتُ الْحَسَنُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.



- 
- (١) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي في «المجتبى» (١٧٩/٢)، وابن ماجه (١٣٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢٨٣/٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٣/٢)، والدارمي (٥٦٥/٢)، والحاكم في «المستدرک» (٧٦٢-٧٦/١)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٤٥/٣).
- (٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٢٣٦) (٧٩٣) من حديث أبي بردة عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٣) أخرجه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٢٤٨) (٨٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## [رُؤْيَةُ اللَّهِ عَزَّجَل]

٦ وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

## ————— ❦ —❦———— الشَّرْح —❦ —❦————

تمهيد:

هَذِهِ مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا، هَلِ الْخَلْقُ يَرُونَ اللَّهَ أَوْ لَا يَرُونَهُ؟

الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزَلَةُ كُلُّهُمَا يَنْفُونَ الرُّؤْيَةَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ لِلْأَجْسَامِ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُ غَيْرُ جِسْمٍ، فَهُوَ لَا يُرَى! فَيَنْفُونَ الرُّؤْيَةَ بَتَاتًا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وَهُنَاكَ قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. وَهَذَا قَوْلُ بَعْضِ الصُّوفِيَةِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ - وَهُوَ الْقَوْلُ الْحَقُّ -: أَنَّ اللَّهَ جَلَّوَعَلَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَا يُرَى؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ سُبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَمَّا طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رُؤْيَةَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي الدُّنْيَا: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا

(١) قَالَ ابْنُ أَبِي الْعَزْ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص ٢١٧)، ط. الرِّسَالَةُ: (وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثُ الرُّؤْيَةِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا، وَمِنْ أَحَادِثِهَا بِهَا مَعْرِفَةٌ يَقْطَعُ بِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهَا...). اهـ.  
وَقَالَ أَيْضًا (ص ٢١٥): (وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الدَّالَّةُ عَلَى الرُّؤْيَةِ فَمَتَوَاتِرَةٌ، رَوَاهَا أَصْحَابُ الصَّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسَّنَنِ).  
وَانْظُرِ: التَّعْلِيقُ التَّالِي (ص ٧١).

وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأعراف: ١٤٣]، الجبلُ الصلبُ صارُ تُرابًا من عَظْمَةِ اللَّهِ عَزَّجَلْ فَكَيْفَ يُطِيقُ الْآدَمِيُّ رُؤْيَا اللَّهِ؟! هَذَا فِي الدُّنْيَا.

أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي أَهْلَ الْجَنَّةِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُونَ بِهَا أَنْ يَرَوْا رَبَّهُمْ عَزَّجَلْ إِكْرَامًا لَهُمْ. لَمَّا آمَنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَرَوْهُ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ، فَتَجَلَّى لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لِيَتَلَذَّذُوا بِرُؤْيَا اللَّهِ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا حَجَبَهُمُ اللَّهُ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فَإِذَا كَانَ الْكُفَّارُ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ، فَهَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُونَ عَنْ رُؤْيَا رَبِّهِمْ، وَإِلَّا كَانَ الْكُفَّارُ وَالْمُؤْمِنُونَ سَوَاءً فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ، وَأَكْرَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ يَتَجَلَّى لَهُمْ، أَيُّ: يَظْهَرُ لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَيَرُونَهُ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَا اللَّهِ وَلَا يَتَضَامُّونَ، يَعْنِي: لَا يَتَزَاوَحُونَ لِرُؤْيَا اللَّهِ، فَيَرُونَهُ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَهَذَا تَشْبِيهٌُ لِلرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَا لَا الْمَرْتَبِيِّ بِالْمَرْتَبِيِّ؛ كَمَا صَحَّحَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي رُؤْيَا اللَّهِ عَزَّجَلْ.

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الْحُسْنَىٰ هِيَ: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ <sup>(١)</sup>.

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾: فِي الْجَنَّةِ، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: وَهُوَ رُؤْيَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١) من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] مِنَ النَّضَرَةِ وَهِيَ الْبَهْجَةُ،  
 ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بِأَبْصَارِهَا؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِذَا عُذِّي بِـ (إِلَى) فَمَعْنَاهُ الْمُعَايَنَةُ  
 بِالْبَصَرِ، وَإِذَا عُذِّي بِنَفْسِهِ (يَنْظُرُونَ) فَمَعْنَاهُ التَّوَقُّفُ وَالْإِنْتِظَارُ، وَإِذَا عُذِّي بِـ (فِي)؛  
 كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]،  
 فَمَعْنَاهُ التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ.

فتلخص من هذا أَنَّ النَّظَرَ:

- ١- إِنْ عُذِّي بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ: الْإِنْتِظَارُ.
  - ٢- وَإِنْ عُذِّي بِـ (فِي) فَمَعْنَاهُ: التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ.
  - ٣- وَإِنْ عُذِّي بِـ (إِلَى) فَمَعْنَاهُ: الْمُعَايَنَةُ بِالْأَبْصَارِ<sup>(١)</sup>.
- هذه هي القاعدة.

وَالْآيَةُ الَّتِي مَعْنَاهُ مُعَدَّاةٌ بِـ (إِلَى): ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]: فَهَذَا مُعَايَنَةٌ  
 بِالْأَبْصَارِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]  
 فَالْإِدْرَاكُ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ، أَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ وَتُبْصِرُهَا، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُهَا، يَعْنِي:  
 لَا تُحِيطُ بِهَا، فَلَا تُحِيطُ بِالْمَرْئِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ. فَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُونَهُ، أَي: لَا يُدْرِكُونَ عَظَمَتَهُ جَلَّوَعَلَا، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.  
 وَأَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ، وَلَكِنْ لَا تُحِيطُ بِجُزْمِهَا وَحُدُودِهَا، وَهَذَا فِي الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ

(١) انظر: مبحث تعدي النظر بـ (في) و (إلى) ومعناه في «شرح ابن أبي العز على الطحاوية» (ص ٢٠٩).  
 وقال قبلها: (وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة (إلى) الصريحة  
 في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله أراد  
 بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جلَّ جلاله). اهـ.

بالحَالِقِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؟! فَنفِي الإدْرَاكِ غَيْرُ نفِي الرُّؤية، بل قالوا: إِنَّ نفِي الإدْرَاكِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَى، ولكنه لا يُدْرَكُ، يعني: لا يُحَاطُ بِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقول الله لموسى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ليس معناه النفْي المؤبَّد، بل ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾: يعني: في الدنيا، بدليل أَنَّ الرؤية ثَبَتَتْ في الآخرة.

وأهل اللغة يقولون: إِنَّ كَلِمَةَ (لَنْ) ليست للنَّفْي المؤبَّد، وإنما هي للنَّفْي المؤقَّت.

وقول النَّاطِم رحمه الله تعالى: (يَتَجَلَّى): يعني يَظْهَر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَكْشِفُ الحِجَابَ عنه جَلَّ وَعَلَا.

وقوله رحمه الله تعالى: (كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى): هذا مأخوذٌ من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»<sup>(١)</sup>، ليلة البدر هي: ليلة الحَامِسَ عَشَرَ أو الرَّابِعَ عَشَرَ، وهي ليالي الإِبْدَارِ، وفيها تَمَامُ الْقَمَرِ؛ لأنَّ الْقَمَرَ يَهْلُ أَوَّلَ الشَّهْرِ ضَعِيفًا، ثم يَزِيدُ إِلَى أَنْ يَتَكَمَّلَ فِي لَيَالِي الْإِبْدَارِ، ثم يأخذُ فِي النَّقْصِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ هِلَالًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، العُرْجُونُ: هو عِذْقُ النَّخْلَةِ الذي تَرَوْنَهُ مُنْحِنِيًا إِذَا يَبَسَ، فَاهْلَالُ يَكُونُ عَلَى شَكْلِ الْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ.



(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤية الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ...». ورواه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١)، ومسلم (٢١٠) (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إنكم سترون ربكم...).

٧ وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحِ

## ————— ❦ ————— الشرح ❦ —————

هَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:  
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وَسَمَّيْتُ بِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهَا خُلِّصَتْ بِالتَّوْحِيدِ.

### وَالْقُرْآنُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

- ١- إِمَّا تَوْحِيدٌ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّرِكِ بِهِ.
- ٢- وَإِمَّا أَوَامِرٌ وَنَوَاهٍ، وَهِيَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ.
- ٣- وَإِمَّا أَخْبَارٌ عَنِ الرُّسُلِ وَالْأُمَمِ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

فَهَذِهِ السُّورَةُ خُلِّصَتْ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا، فَهِيَ فِي التَّوْحِيدِ؛ وَلِذَلِكَ صَارَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي الْفَضْلِ<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّهَا خُلِّصَتْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، هَذَا وَجْهٌ تَسَمَّيْتُهَا بِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ.

وَفِيهَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، نَفْيُ النِّقَائِصِ عَنِ اللَّهِ، وَإِثْبَاتُ الْكَمَالَاتِ لَهُ جَلَّوَعَلَا:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝: هَذَا إِثْبَاتٌ، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝: هَذَا إِثْبَاتٌ.

(١) رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بلفظ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن...)، (٥٠١٥): «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَتَيْنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ...».

ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٦٢) (٨١٢): «أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟!» ومن حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٥٩) (٨١١): «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ...».

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: هذا نفى.  
فنفى عنه النقص، وأثبت له الكمال.

قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾: يعني: هو واحد لا شريك له في ربوبيته، ولا في إلهيته، ولا في أسمائه وصفاته. فهو واحد في أنواع التوحيد الثلاثة.  
وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: أي: الذي تصمد له الخلائق، وتطلب منه حوائجها.

ثم نفى، فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ﴾: يعني: ليس له ولد، فهو - سبحانه - منزّه عن الولد.

وهذا ردٌّ على الذين أثبتوا الولد لله، وهم:

- النصارى، حيث قالوا: المسيح ابنُ الله.

- وردٌّ على اليهود الذين قالوا: عزير ابنُ الله.

- وردٌّ على المشركين الذين قالوا: الملائكة بناتُ الله، فجعلوا لله البنات وهم

يَكْرَهُنَّ، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]، فَهُمْ يَكْرَهُونَ

البنات، فكيف يجعلونها لله جَلَّوَعًا؟! قال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ

لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [النحل: ٦٢]، وقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، أي:

تجعلون له البنات وأنتم تكرهون البنات، ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾: وتختصون بالبنين

الذين تحببونهم، وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ

الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [النحل: ٦٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]؛ لأنَّ الولد جزءٌ

من الوالد. فهم شبهوا الله جَلَّوَعًا بالمخلوقين، وجعلوا له الولد، وهو منزّه عن ذلك.

ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوْمَن يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]: المرأة تُنشَأُ في الحلية؛ لأنها تحتاجُ إلى حُلِيٍّ، فهي ناقصةٌ، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: عندما تحصل خُصُومَةٌ ومناقشةٌ تضعُفُ المرأةُ، فلا تستطيعُ أن تُخاصِمَ عن نفسها؛ ولذلك في الغالب تُوكِّلُ مَنْ يُخاصِمُ عنها.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾: يقولون: إِنَّهُم بَنَاتُ اللَّهِ! ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شَهَدَتُهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩].

فالمُشْرِكُونَ وصفوا الله بأنَّ له البناتِ، والنصارى وصفوا الله بأنَّ له ولداً، وهو المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو عبدُ الله ورَسُولُهُ؛ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، فعيسى عبدُ الله ورَسُولُهُ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ، وليس هو ابناً لله عَزَّ وَجَلَّ، فاللهُ سُبحانَهُ: ﴿لَمْ يَكِدْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] لا بداية له سُبحانَهُ وَتَعَالَى كما أَنَّهُ لا نهاية له، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>، هَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَهُوَ أَوَّلٌ بِلَا بَدَايَةٍ، دَائِمٌ بِلَا نِهَايَةٍ، سُبحانَهُ وَتَعَالَى.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: هذا نفْيٌ لِلشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ شَبِيهُ لَوَالِدِهِ وَشَرِيكٌ لَهُ، وَأَيْضًا الْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْحَاجَةِ، وَاللَّهُ -سُبحانَهُ- مُنْزَهٌ عَنْ ذَلِكَ، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]، فَهُوَ غَنِيٌّ

(١) أخرجه مسلم (٦١) (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ الْوَلَدِ، أَمَّا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ بِحَاجَةٍ لِلْوَلَدِ، فَإِنْ لَمْ يَلِدْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ  
يَكُونُ عِنْدَهُ عَجْزٌ وَضَعْفٌ، وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَوْلَادِ لِيَسَاعِدُوهُ.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِلِدْ﴾: هَذَا نَفْيٌ لِلْبِدَايَةِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: الْكُفُوُ: مَعْنَاهُ: الشَّيْبَةُ  
وَالْمَثِيلُ، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ لَهُ شَيْبَةٌ وَلَا مَثِيلٌ، أَيْ: لَا أَحَدٌ يُكَافِئُهُ - سُبْحَانَهُ - أَوْ  
يُسَاوِيهِ أَوْ يُشَابِهُهُ أَوْ يُمِثِّلُهُ أَبَدًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فَهَذَا نَفْيٌ لِلْمَثِيلِ وَالشَّيْبَةِ  
وَالنَّظِيرِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أَيْ هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يُسَاوِيهِ  
- سُبْحَانَهُ - وَيُسَامِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟! وَلَيْسَ مَعْنَاهُ لَا يَتَسَمَّى أَحَدٌ بِاسْمِهِ؛ كَالْمَلِكِ  
وَالْعَزِيزِ.

فَقَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ): هَذَا مَا خُوِذَ مِنْ سُورَةِ  
الْإِنْخِلَاصِ، الَّتِي فِيهَا: إِثْبَاتُ الْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَنَفْيُ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ عَنْهُ  
سُبْحَانَهُ، وَنَفْيُ الْمُشَابَهَةِ وَالْمِثْلِيَّةِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ.



## [إنكار الجهمية رؤية العباد لربهم]

- ٨ وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا، وَعِنْدَنَا بِمُضَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَرِّحٍ  
٩ رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ

## — — — — — الشرح — — — — —

قد ينكر الجهمي رؤية الله عزَّ وجلَّ في الآخرة، ولا مُسْتَدَلُّ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَنَحْنُ عِنْدَنَا فِي إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ مِنْ رِوَايَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ سَاقَهَا ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ «حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ»<sup>(١)</sup>، وَهُوَ كِتَابٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَوْصَافِهَا وَمَا فِيهَا. وَقَدْ ذَكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ، وَأُورِدَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِيهَا بِسِيَاقَاتِهَا وَأَسَانِيدِهَا وَرَوَاتِهَا.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (رَوَاهُ جَرِيرٌ)<sup>(٢)</sup>: هُوَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الرُّوَاةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَإِلَّا فَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَالنَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُمَثِّلَ فَحَسَبَ.

(عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ): أَيُّ: يَرَوِيهِ جَرِيرٌ مِنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ): قُلْ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْجَحُ. وَلَا تُخَالَفْ قَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَخْسَرْ، فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ حَقٌّ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكٌّ.

(١) انظر: «حادي الأرواح»، الباب «الخامس والستون» (ص ١٩٦)، ط. دار الكتب العلمية، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها عينًا لأهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي سَمَّرَ إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون».

(٢) سبق ذكره في تخريج أحاديث الرؤية (ص ٧٣).

## [مذهب الجهمية في يدي الله عز وجل]

١٠ وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكَلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ

## ————— ❦ —❦———— الشرح —❦ —❦————

الْجَهْمِيُّ: هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى مَذْهَبِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، الَّذِي أَخَذَ مَذْهَبَهُ عَنِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ.

وَقَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ): يَعْنِي: أَتْبَاعُ الْجَهْمِ يَنْكِرُونَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَهَذَا مِنْ مَذْهَبِهِ الْحَبِيثِ، وَإِلَّا فَلَهُ مَذْهَبٌ قَبِيحٌ فِي عِدَّةِ مَسَائِلَ، وَمِنْهَا إِنْكَارُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَقَوْلُهُ: (وَقَدْ): هَذِهِ لِلتَّحْقِيقِ، مِثْلُ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]، (قَدْ) تَأْتِي لِلتَّحْقِيقِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَتَأْتِي لِلتَّقْلِيلِ، مِثْلُ: قَدْ يَجُودُ الْبَخِيلُ، هَذِهِ لِلتَّقْلِيلِ.

وَهِيَ هُنَا لَيْسَتْ لِلتَّقْلِيلِ إِنَّمَا هِيَ لِلتَّحْقِيقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: ١٨]، هَذِهِ لِلتَّحْقِيقِ.

قَوْلُهُ: (أَيْضًا): أَي: كَمَا أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ عَزَّجَلَّ فَإِنَّهُ - أَيْضًا - يُنْكِرُ إِثْبَاتَ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ.

وَاللَّهُ جَدَّوَعًا لَهُ صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ مِثْلُ: الْيَدَيْنِ، وَالْوَجْهِ، وَالْقَدَمَيْنِ، وَالْأَصَابِعِ، وَلَهُ صِفَاتٌ فِعْلِيَّةٌ مِثْلُ: النَّزُولِ، وَالْإِسْتِوَاءِ، وَالْكَلَامِ، وَالْخَلْقِ.

فكلُّ ما جاء الدَّلِيلُ بإثباته لله من صفاتِ الذاتِ فَإِنَّا نُثْبِتُهُ لله عَزَّجَلَّ خِلَافًا  
لِلْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ أَسْمَاءَ الله وصفاته، وعلى رأسهم الجَهْمِيَّةُ، وخِلَافًا لِلْمُمَثِّلَةِ  
الَّذِينَ يَغْلَوْنَ فِي الْإِثْبَاتِ، حَتَّى يُشَبِّهُوا صفاتِ الله بصفاتِ خلقه، فَهُمْ عَلَى طَرَفِي  
نَقِيضٍ، فَهَؤُلَاءِ غَلَوُوا فِي التَّنْزِيهِ حَتَّى نَفَوْا أَسْمَاءَ الله وصفاته، وهَؤُلَاءِ غَلَوُوا فِي الْإِثْبَاتِ  
حَتَّى شَبَّهُوا الله بخلقِه.

وأهل السنة والجماعة وَسَطٌ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَيُثْبِتُونَ لله ما أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ من صفاتِ  
الذَّاتِ وصفاتِ الأفعالِ، خِلَافًا لِلْمُعْطَلَةِ، إِثْبَاتًا بِلا تَمَثُّلٍ، خِلَافًا لِلْمُشَبَّهَةِ؛ كَمَا قَالَ  
تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: هَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُثَلَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: هَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُعْطَلَةِ.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

والله جَلَّوَعَلَا لَهُ صفاتٌ ذَاتِيَّةٌ، وَلَهُ صفاتٌ فَعْلِيَّةٌ؛ كَالِاسْتِواءِ، وَالتَّزْوِيلِ، وَالْخَلْقِ،  
وَالرِّزْقِ، وَالْكَلَامِ، كُلُّ ذَلِكَ من صفاتِ أفعالِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنْ صفاتِهِ الذَّاتِيَّةِ: الْيَدَانِ، وَقَدْ جَاءَ إِثْبَاتُهُمَا فِي كَلَامِ الله عَزَّجَلَّ وَفِي سُنَّةِ  
رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَالسَّمَكُوتِ مَطْوِيَّتُ يَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَقَوْلِهِ تعالى:

﴿قَالَ يَإَيُّهَا إِبْرَاهِيمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥] يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «يَدُ اللهِ مَلَأَتْ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»<sup>(١)</sup>. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ

الصَّحِيحَةِ الَّتِي فِيهَا إِثْبَاتُ الْيَدَيْنِ، وَالْيَدُ اللهُ عَزَّجَلَّ عَلَى مَعْنَاهُمَا الْمَعْرُوفِ فِي اللُّغَةِ.

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١٩)، ومسلم (٣٦) (٩٩٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ

(٣٧) (٩٩٣): «وَيَدُ الْآخَرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

فَهُمَا يَدَانِ حَقِيقَتَانِ، لَكِنْ لَيْسَتْ كَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ هُمَا يَدَانِ تَلِيقَانِ بِجَلَالِ  
اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُمَا إِلَّا اللَّهُ جَلَّوَعَلَا.

فَنَحْنُ نُنَبِّئُهُمَا عَلَى مَعْنَاهُمَا الْحَقِيقِيَّ، وَنَنْفِي عَنْهُمَا التَّمَثِيلَ وَالتَّشْبِيهَ، فَلَا يُشْبِهَانِ  
يَدِي الْمَخْلُوقِ. هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَمْثِيلًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَأْنُهُمْ فِي ذَلِكَ شَأْنُهُمْ فِي بَقِيَّةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

أَمَّا أَهْلُ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْيَدَيْنِ عَنِ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا كَمَا يَنْفُونَ عَنْهُ سَائِرَ  
الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُمْ يُؤَوَّلُونَ الْيَدَ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ، أَوْ بِمَعْنَى النُّعْمَةِ.

يُؤَوَّلُونَهَا بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ، فَيَقُولُونَ: مَعْنَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: أَي: بِقُدْرَتِي!  
فَيُقَالُ لَهُمْ: اللَّهُ جَلَّوَعَلَا ذَكَرَ الْيَدَيْنِ بِلَفْظِ التَّشْبِيهِ، فَهَلِ اللَّهُ جَلَّوَعَلَا لَهُ قُدْرَتَانِ أَوْ  
قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ؟!

فَلَا يُوجَدُ إِلَّا جَوَابٌ وَاحِدٌ، هُوَ: أَنَّ اللَّهَ لَهُ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا يَصَحُّ أَنْ يُقَالَ  
لَهُ قُدْرَتَانِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: هَلْ يُقَالُ مَعْنَاهُ بِقُدْرَتِي؟! لَا أَحَدٌ يَقُولُ هَذَا.

وَأَمَّا تَأْوِيلُهَا بِالنُّعْمَةِ؛ فَكَأَنَّ تَقْوَلَ: لَكَ يَدٌ عِنْدِي. أَي: لَكَ نِعْمَةٌ عِنْدِي!

فَإِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ: مَعْنَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: بِنِعْمَتِي!

يُقَالُ لَهُ: هَلِ اللَّهُ جَلَّوَعَلَا لَيْسَ لَهُ إِلَّا نِعْمَتَانِ فَحَسَبَ، أَمْ أَنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ مِنْهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

ثُمَّ - أَيْضًا - لَا فَرْقَ بَيْنَ آدَمَ وَغَيْرِهِ إِذَا فُسِّرَتِ الْيَدُ بِالْقُدْرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَمِيعَ  
الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا مَرِيَّةَ لَأَدَمَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَاللَّهُ جَلَّوَعَلَا مَيِّزُهُ بِقَوْلِهِ:  
﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. فَهَذَا وَجْهُ الرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ.

وَأَمَّا الْمَثَلَةُ فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، والنَّدُّ: هو الشَّبيه والمثيل، فنهى أَنْ نَجْعَلَ لِلَّهِ أَشْبَاهًا وَأَمْثَالًا مِنْ خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاللهُ ليسَ كمِثْلِهِ شَيْءٌ.

فهذا هو مذهب الجهمية في مسألة اليمين لله عزَّ وجلَّ، وهذا الردُّ عليهم فيما تأولوه، ومذهب الممثلية والمشبَّهة -أيضًا- والردُّ عليهم من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

واللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَالسَّمَكَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَجَاءَ لَفْظُ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»<sup>(١)</sup>، فَهِيَ شِمَالٌ بِمَعْنَى الْيَمِينِ؛ وَذَلِكَ تَنْزِيهًا لِيَدِهِ عَزَّجَلَّ مِنَ التَّنْقِصِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَ السَّامِعُ إِثْبَاتَ الشِّمَالِ لِلَّهِ فَرَبًّا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهَا مِثْلُ شِمَالِ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ يَدَ الْمَخْلُوقِ الشِّمَالُ لَيْسَتْ مِثْلَ الْيَمِينِ، بَلْ أَنْقَصُ، وَالشِّمَالُ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- لِإِزَالَةِ الْأَذَى وَالتَّنْظِيفِ، وَأَمَّا الْيَمِينُ فَهِيَ لِمَا يُسْتَطَابُ، وَالْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِذَا سَمِعَ السَّامِعُ إِثْبَاتَ الشِّمَالِ لِلَّهِ، رَبًّا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهَا أَنْقَصُ مِنَ الْيَمِينِ كَمَا فِي الْمَخْلُوقِ، فَالَنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَى هَذَا التَّوَهُّمَ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

(١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْقُسْطَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَغْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»، رواه مسلم (١٨) (١٨٢٧)، كتاب «الإمارة».

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وَكِلْنَا يَدَيْهِ): أَيُّ: يَدَيِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

(بِالْفَوَاضِلِ): أَيُّ: بِالْعَطَاءِ وَالنَّعْمِ.

(تَنْفَحُ): يَعْنِي: تُعْطِي الْخَلْقَ، وَتُغْدِيهِمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «يَدُهُ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَلَمْ تَرَوْا مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ»<sup>(١)</sup>، فَهُوَ جَلَّ وَعَلَا يُعْطِي الْعَطَاءَ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، يُعْطِيهِ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ لِعِبَادِهِ.

هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَكِلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ) أَيُّ: بِالْعَطَايَا وَالْأَفْضَالَ مِنْ اللهِ.

قَوْلُهُ: (تَنْفَحُ): يَعْنِي: مُسْتَمِرَّةٌ فِي الْعَطَاءِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ مِنْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْيَهُودُ -قَبَّحَهُمُ اللهُ- لَمَّا وَصَفُوا اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِالْبُخْلِ وَقَالُوا: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾

[المائدة: ٦٤]، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾،

يَعْنِي بِالْجُودِ وَالْعَطَاءِ وَالْكَرَمِ.



## [مَسْأَلَةُ نَزُولِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ]

١١ وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلا كَيْفَ جَلُّ الْوَاحِدِ الْمُتَمَدِّحِ

## ————— ❦ —❦———— الشَّرْحُ —❦ —❦————

(وَقُلْ) يَعْنِي: قُلْ أَيُّهَا السُّنِّيُّ -الذي تَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قُلْ وَلَا تَتَرَدَّدْ..  
قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (يَنْزِلُ الْجَبَّارُ): يَنْزِلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

(فِي كُلِّ لَيْلَةٍ): لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
وَمَا يَلِيقُ بِهِ، فَقُلْ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُثْبِتِ النُّزُولَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ وَالنُّزُولَ مِنْ  
صِفَاتِ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَفْعَلُهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِمَشِئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ مَتَى شَاءَ.  
وَهَذَا النُّزُولُ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهَا جَمَاعَاتٌ مِنْ  
الصَّحَابَةِ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ فِي الصَّحَاحِ.

وَقَدْ كَتَبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُؤَلِّفًا مُسْتَقِلًّا فِي شَرْحِ حَدِيثِ  
النُّزُولِ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ مُفْرَدٌ، وَطُبِعَ مَعَ الْمَجْمُوعِ، بِعُتْوَانٍ: «شَرْحُ حَدِيثِ النُّزُولِ».  
فَيَجِبُ إِثْبَاتُ النُّزُولِ لِلَّهِ، كَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ  
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَهَذَا يَدْمَغُ الْمُعْطَلَةَ؛ لِأَنَّهُ مُتَوَاتَرٌ؛ لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَرْحِ حَدِيثِ النُّزُولِ مِنْ «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٥/ ٤٧٠):  
(وَقَدْ رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رِوَايَةِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ هَذَا، فَهُوَ  
حَدِيثٌ مُتَوَاتَرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ). وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «الصَّوَاغِقِ الْمُرْسَلَةِ»، ط. دَارُ الْعَاصِمَةِ،  
(١/ ٣٨٧): (إِنَّمَا وَرَدَتْ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا). اهـ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْعُلُوفُ»، ط. أَصْوَاءُ السَّلَفِ، (ص ١٠٠)، (وَقَدْ أَلْفَتْ أَحَادِيثُ النُّزُولِ فِي  
جُزْءٍ، وَذَلِكَ مُتَوَاتَرٌ أَقْطَعَ بِهِ).

وَانْظُرْ: «كِتَابُ التَّوْحِيدِ» لِابْنِ خَزِيمَةَ (١/ ٢٩١-٣٢٧) حَيْثُ أوردَ جُمْلَةً كَبِيرَةً مِنْهَا.

يقولوا: هَذَا حَدِيثٌ أَحَادٍ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ! وَلَكِنَّ هَذَا لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حِيلَةٌ؛ لِأَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا النُّزُولُ مِثْلُ سَائِرِ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ مِثْلُ نَزُولِ الْمَخْلُوقِ، وَإِنَّمَا هُوَ نَزُولُ الْجَبَّارِ جَلَّ وَعَلَا كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، وَإِنَّمَا نُثَبِّتُهُ كَمَا جَاءَ، مُؤْمِنِينَ بِهِ، لَا نَتَأَوَّلُهُ، وَلَا نُعْطِّلُهُ، وَلَا نُمَثِّلُهُ بِنَزُولِ الْمَخْلُوقِ عَنِ الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ نَزُولٌ يَلِيقُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَلِأَنَّهُ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ، لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِيهِ، أَخَذُوا يُشَرِّقُونَ وَيُغَرِّبُونَ، يُرِيدُونَ التَّخْلَصَ مِنْهُ: فَقَالُوا: «يَنْزِلُ» يَعْنِي: يَنْزِلُ أَمْرُهُ!

فَيُقَالُ لَهُمْ: الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّهُ يَقُولُ: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ»، «هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟»<sup>(١)</sup>، فَهَلْ (الْأَمْرُ) يَقُولُ: مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟! فَهَذَا بَاطِلٌ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَقُولُ هَذَا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَالُوا: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»: يَعْنِي: يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ!

وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلِ الْمَلَكُ يَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؟! هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ هَذَا يَصْدُرُ مِنَ الْمَلَكِ أَوْ يَصْدُرُ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

الجواب: هَذَا مِنَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.

فَلَيْسَ الْمُرَادُ يَنْزِلُ أَمْرُهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَالْمَلَكَ لَا يَقُولَانِ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ.

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٦٨) (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَنَظَرًا لِدَوْرَانِ الشَّمْسِ حَوْلَ الْأَرْضِ، قَالُوا -أَيْضًا-: كَيْفَ يَنْزِلُ وَاللَّيْلُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَقْطَارِ؟! فَالشَّمْسُ تَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ، وَيَكُونُ نِصْفُ الْأَرْضِ فِي نَهَارٍ وَنِصْفُهَا الْآخَرُ فِي لَيْلٍ، فَيَكُونُ عِنْدَنَا نَهَارٌ وَعِنْدَ الْآخَرِينَ لَيْلٌ، وَالْعَكْسُ.

نَقُولُ: هَذَا لَا نَدْخُلُ فِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَالَّذِي سَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَجَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ يَنْزِلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَنَحْنُ نُثَبِّتُ النَّزُولَ وَلَا نَتَعَرَّضُ لِلْكِيفِيَّةِ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ يَنْزِلُ وَثَلُثُ اللَّيْلِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَقَالِيمِ؟! بَلْ نَقُولُ: هَذَا إِذَا كَانَ نَزُولَ الْمَخْلُوقِ، أَمَّا نَزُولُ الْخَالِقِ فَهُوَ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالُوا: النَّزُولُ يَلْزُمُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالْإِنْتِقَالُ، فَهَلِ اللَّهُ يَنْتَقِلُ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَتَحَرَّكُ؟

نَقُولُ: هَذَا بَحْثٌ عَنِ الْكِيفِيَّةِ، وَنَحْنُ نَقُولُ: يَنْزِلُ كَمَا يَشَاءُ لَا نَعْلَمُ الْكِيفِيَّةَ. اللَّهُ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَا نَخْوَضُ فِي هَذَا.

فَنَحْنُ نُثَبِّتُ النَّزُولَ -كَمَا جَاءَ- كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، نُثَبِّتُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَلْتَفِتُ إِلَى وَسَاوِسِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَدْرِكُونَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّزُولَ لَا يَلِيقُ بِكَ يَا رَبَّنَا؛ لِأَنَّهُ كَذَا وَكَذَا، فَهُمْ يَسْتَدْرِكُونَ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَيَسْتَدْرِكُونَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَأَنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

هَذَا فِيهِ سُوءُ آدَبٍ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا اللَّهُ يُثَبِّتُ النَّزُولَ وَهُمْ يَنْفَوْنَهُ، وَيَقُولُونَ: يَلْزُمُ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ اللَّوَاظِمِ الْبَاطِلَةِ عِنْدَهُمْ!

وقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (الْجَبَّارُ) أي: اللهُ جَلَّ وَعَلَا، من أَسْمَائِهِ الْجَبَّارُ.

وَالْجَبَّارُ لَهُ مَعَانٍ:

- ١- الْجَبَّارُ بِمَعْنَى: الذي يُجْبِرُ عِبَادَهُ الْمُنْكَسِرِينَ.
- ٢- وَالْجَبَّارُ بِمَعْنَى: الذي تُجْرِي أَحْكَامُهُ الْقَدْرِيَّةُ عَلَى عِبَادِهِ، دُونَ أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْهَا، فَأَحْكَامُ اللهِ جَزَّوَعَلَا الْقَدْرِيَّةُ لَا رَادَّ لَهَا، وَلَا مُعَقَّبَ.
- ٣- وَالْجَبَّارُ مِنْ مَعَانِيهِ اللَّغَوِيَّةُ: الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ، وَاللهُ جَزَّوَعَلَا فَوْقَ عِبَادِهِ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

وقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ): كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ، يَعْنِي: لَا نَدْرِي عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّزُولِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَلَا يَلْزِمُ مِنْهُ هَذِهِ اللُّوَاظِمُ الَّتِي أوردَهَا الْمُعْطَلَةُ وَالْمُمَثِّلَةُ وَالْمُشَبَّهَةُ؛ لِأَنَّا لَا نَبْحَثُ عَنْ الْكَيْفِيَّةِ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَالْخَلْقُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، فَلَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ، وَلَا كَيْفِيَّةَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَيُباهِي بِعِبَادِهِ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقُولُ: «انْظُرُوا إِلَيَّ عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْنًا غُيْرًا، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَضَرْتُ لَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في «المستد» (٣٠٥/٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٥٢) (١٦٣/٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٩٣) (١٦/٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠٥/٣)، وأبو يعلى (٢٠٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٨/٥)، والحاكم في «المستدرک» (٤٦٥/١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هَذَا - أَيْضًا - نَوْعٌ آخَرُ مِنَ التُّزُولِ، يَنْزِلُ رَبُّنَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ كَمَا أَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي السَّنَةِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ - سُبْحَانَهُ - وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (جَلَّ): يَعْنِي تَعَاظَمَ قَدْرُهُ وَشَأْنُهُ عَنْ أَنْ نَكَيِّفَ أَوْ نَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمِنْهَا التُّزُولُ، فَنَحْنُ نُنْثِبُ التُّزُولَ وَلَا نَبْحُثُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ؛ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ، فَالتُّزُولُ مَعْلُومٌ وَأَمَّا الْكَيْفُ فَهُوَ مَجْهُولٌ؛ كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِسْتِوَاءِ: «الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ»<sup>(١)</sup>، وَهَذَا فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

قَوْلُهُ: (الْوَاحِدُ): الْوَاحِدُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، وَلَا فِي عِبَادَتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَوْلُهُ: (الْمُتَمَدِّحُ): أَيُّ: الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْمَدْحِ وَالْكَمَالِ.



(١) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي (ص ٣٣)، ط. المكتب الإسلامي، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٢٨) (٣/ ٥٢٧).

١٢ إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣ يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيَمْنَحُ

## — — — الشَّرْحُ — — —

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا): أَي: يَنْزِلُ إِلَى الطَّبَقِ الْأَدْنَى مِنَ السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ سَبْعُ طَبَاقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَنْزِلُ جَلَّ وَعَلَا كَيْفَ يَشَاءُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَعْنِي: السَّمَاءَ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (يَمُنُّ بِفَضْلِهِ): فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟»، هَذَا مِنْ فَضْلٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟»، كُلُّ هَذَا مِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْزِضُ عَلَى عِبَادِهِ كَرَمَهُ وَجُودَهُ. وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُومَ آخِرَ اللَّيْلِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَأَنْ يَكُونَ مُسْتَيَقِظًا يُصَلِّي وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُ، فَإِنَّهُ وَقْتُ قَبُولِ الدُّعَاءِ، وَلَا يَنَامُ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَيَحْرِمُ نَفْسَهُ، كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَحْرُومِينَ الَّذِينَ يَسْهَرُونَ اللَّيْلَ، فَإِذَا صَارَ آخِرُ اللَّيْلِ نَامُوا حَتَّى عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ الْفَرِيضَةِ! هَذَا حِرْمَانٌ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنَامَ مُبَكَّرًا وَيَعُودَ نَفْسَهُ -إِنَّمَا الشَّيْءُ بِالْإِعْتِيَادِ- لِأَجْلِ أَنْ يَقُومَ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِذَا عُودَ نَفْسَهُ هَذَا تَعَوَّدَتْ، أَمَّا إِذَا عُودَهَا الْكَسَلُ وَالنَّوْمُ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْهَا حَتَّى الْقِيَامُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ لَا تَقُوتَهُ هَذِهِ الْفُرْصَةُ، وَهَذَا الدُّعَاءُ الْإِلَهِيُّ، وَأَنْ يَكُونَ حَاضِرًا، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ١٧-١٨]، وَقَالَ:

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فالاستغفار وقت السحر له مزية على غيره من الأوقات.

قول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ)، يعني: تُفْتَحُ أَبْوَابُ الإِجَابَةِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَصْحُوَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ وَيَسْأَلَ، فَإِنَّ أَبْوَابَ الإِجَابَةِ مَفْتُوحَةٌ لَهُ، فَهِيَ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ.

قول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا):  
(أَلَا): أداهُ تَنْبِيهِ، يعني: تَنْبَهُوا لِمَا سَيُقَالُ.

(يَلْقَى غَافِرًا): مأخوذ من قوله: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ».

قول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا): يعني: مَنْ يَطْلُبُ الْمَنْحَ، وَهُوَ الْعَطَاءُ، مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّجَلَّ مِمَّا يَشَاءُ مِنَ الْخَيْرِ، وَالرِّزْقِ، وَأَيِّ حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِهِ، وَحَوَائِجِ النَّاسِ تَخْتَلِفُ، فَيَسْأَلُ اللَّهُ أَيَّ حَاجَةٍ لَهُ فِيهَا خَيْرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا.

واللهُ جَلَّوَعَلَا قَرِيبٌ مُجِيبٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَكِنْ تَوْجِدُ أَوْقَاتٌ لَهَا خَاصِّيَّةٌ تَكُونُ الإِجَابَةُ فِيهَا أَكْثَرَ؛ مِثْلُ هَذَا الْوَقْتِ، وَمِثْلُ السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، كَمَا تُوجَدُ أَحْوَالٌ تَكُونُ الإِجَابَةُ فِيهَا أَقْرَبَ مِثْلُ حَالِ السُّجُودِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»<sup>(١)</sup>، وَمِثْلُ حَالِ السَّفَرِ: «يُطِيلُ السَّفَرُ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ...»<sup>(٢)</sup>، وَمِثْلُ حَالِ الضَّرَّوْرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فَتُوجَدُ أَوْقَاتٌ وَأَحْوَالٌ تَكُونُ الإِجَابَةُ فِيهَا أَكْثَرَ

(١) أخرجه مسلم (٢١٥) (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥) (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِنْ غَيْرِهَا، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّوَعًا يَغْفِرُ وَيُعْطِي، وَيَسْمَعُ الدُّعَاءَ، وَيُجِيبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَرِزْقًا فَيُمنَحُ): فَكَيْفَ يَصْدُقُ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذَا وَيَنَامُ؟! مَاذَا يَسْتَفِيدُ مِنْ فُضُولِ النَّوْمِ؟! كَيْفَ يَغْفُلُ وَيَلْهُو مَعَ الْفَضَائِيَّاتِ وَالْإِنْتَرْنِتِ، وَيَجْلِسُ مَأْسُورًا شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا يَتَحَرَّكُ مَعَ هَذَا الصَّنَمِ الْحَبِيثِ، وَلَا يَمَلُّ وَلَا يَتَعَبُ، وَيُعْرِضُ عَنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُعْرِضُ عَنْ هَذَا الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي هُوَ بِأَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؟! فَإِنَّهُ لَا غِنَى بِهِ عَنِ اللَّهِ جَلَّوَعًا طَرَفَةَ عَيْنٍ، فَكَيْفَ يُعْرِضُ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذَا وَلَا يَتَنَبَّهُ لَهُ؟!

أَوْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ فَيُكْذِّبُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- بِهَذَا النَّزُولِ وَيَنْفِيهِ، وَيَتَهَاوَنُ بِهِ! هَذَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي يُعْرِضُ وَلَا يَنْفِي، وَلَكِنَّهُ يُعْرِضُ وَلَا يَتَنَبَّهُ لَهُ. وَلَوْ أَنَّ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ فِيهِ تَوْزِيعُ نَقُودٍ، أَوْ تَوْزِيعُ دَرَاهِمٍ، أَوْ فُتْحَ فِيهِ بَابُ مُسَاهَمَةٍ فِي شَرَكَةٍ، وَالنَّاسُ يَرْجُونَ فِيهَا الرِّبْحَ، أَلَا تَرَوْنَ مَا النَّاسُ صَانِعُونَ؟ أَلَيْسُوا يُغَامِرُونَ؟

بَلْ حَدَّثَ أَنَّ قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الزَّحَامِ لَطَلَبِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الَّتِي قَدْ تَحْصُلُ وَقَدْ لَا تَحْصُلُ، وَإِنْ حَصَلَتْ رَبًّا تَكُونُ شَرًّا وَوَبَالًا عَلَى صَاحِبِهَا، وَرَبًّا تَكُونُ هَذِهِ الْمُسَاهَمَةُ مُحَرَّمَةً يَدْخُلُهَا الرَّبَّا، وَرَبًّا تَكُونُ مِنَ الْمَيْسِرِ وَالْقِمَارِ، وَمَعَ هَذَا يَتَنَافَسُونَ عَلَيْهَا، وَيَقْتَتِلُونَ، وَيَأْتُونَ مُبَكِّرِينَ قَبْلَ الْبِدَاءَةِ بِزَمْنٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ قَرِيبًا مِنْ مَحَلِّ الْعَرَضِ، وَلَا يَكُونُ بَعِيدًا!

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا فَكَيْفَ يُعْرِضُ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِحَامٍ، وَهُوَ مَضْمُونُ الْخَيْرِ لَيْسَ فِيهِ غَائِلَةٌ، وَلَيْسَ فِيهِ زِحَامٌ، وَلَا مُنَافَسَاتٌ،

ولا أصوات، ولا مُغالبات؟! كيف يُعرض الإنسان عن هذا ويذهب إلى ما لا يدري عنه هل هو خيرٌ أو شرٌّ؟! وهو إلى الشرِّ أقرب، في هذا الزمان الذي أصبح فيه كثيرٌ من الناس لا يُبالي بالحلّال والحرام، فالشرُّ والفتنة عظيمةٌ بالأموال الآن، ومع هذا يتقاتل الناس عليها، وأمّا الفرصُ العظيمةُ مع الله جلّ وعلا أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأرحم الراحمين، الذي لا يستغني أحدٌ عنه طرفة عين، فكيف يغفلون عن هذه الفرصة التي فتحها الله لهم؟! ولم يطلب منهم أن يسهروا الليل كله، بل هو - سبحانه - ينزل آخر الليل قبل الفجر. لو لم تقم إلا قبيل الفجر بدقائق لتشهد هذا المشهد العظيم، وإذا بكرت فهو أفضل، فلا تفوت هذه الفرصة العظيمة وتغفل عنها، فربما يكون هذا آخر حياتك ولا تدرِكها في المستقبل، فما دُمت في زمن الإمكان، وما دُمت فارغاً غير مشغولٍ فلا تضيع هذه الفرصة العظيمة.

قول الناظم رحمه الله تعالى: (يقول ألا مُستغفر): المستغفر: هو طالبُ المغفرة.  
 قوله: (يلق غافراً): هو الله جلّ وعلا، فإن من أسأله الغفار، والغفور: ذو المغفرة، هذا من أسماء الله جلّ وعلا، فهو - سبحانه - الذي يسترُ الذنوب.  
 والغفر: معناه السّر؛ يسترُ الذنوب بالغفور وعدم المؤاخذه.  
 قوله: (ومُستمنح): أي: طالبٌ للمنحة، وهي العطاء، وهذا مأخوذٌ من قوله صلى الله عليه وسلم: «هل من سائلٍ فأعطيه؟».



١٤ رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ      أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَبُواهُمْ وَقَبَّحُوا

### — — — — — الشَّرْح — — — — —

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ): أَيُّ: رَوَى حَدِيثَ النَّزُولِ جَمَاعَةٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ)؛ لِأَنَّهُ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ لِلْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْطَلَةِ لِرَدِّهِ مِنْ نَاحِيَةِ السَّنَدِ.

(أَلَا خَابَ قَوْمٌ): لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَنَفَوْا النَّزُولَ عَنِ اللَّهِ، وَأَوَّلُوا حَدِيثَ الرَّسُولِ بِغَيْرِ مُرَادِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَافْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.

(كَذَّبُواهُمْ وَقَبَّحُوا): وَهُمْ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنَهِجِهِمْ، فَأَصْلُ الْبَلَاءِ هُمْ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَكُلُّ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، فَهُمْ الَّذِينَ فَتَحُوا بَابَ الضَّلَالَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ فَهُوَ تَابِعٌ لَهُمْ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِمْ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

فَلْيَحْذَرِ الْمُسْلِمُ أَنْ يَكُونَ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُخْتَصُّ بِإِثْمِ نَفْسِهِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا يَتَحَمَّلُ آثَامَ مَنْ اتَّبَعُوهُ؛ لِأَنَّهُ غَرَّهِمْ وَخَدَعَهُمْ وَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الشَّرِّ، وَصَارَ

(١) بوب بمعناه البخاري في كتاب «الاعتصام»، باب «إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة» قبل حديث (٧٣٢١)، ورواه مسلم (١٦) (٢٦٧٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

قُدُوءَهُمْ فِي الشَّرِّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، فالخطر شديد في هذا. وهذا مما يؤكد على المسلم أن يكون قُدُوءَةً فِي الْخَيْرِ، وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَتَجَنَّبَ أَنْ يَكُونَ دَاعِيَةً إِلَى الشَّرِّ، أَوْ اتِّبَاعِ الْهَوَى أَوْ الْمُخَالَفَاتِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهَا مَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ.



## [فَضْلُ الصَّاحِبَةِ وَتَفَاضُلُهُمْ وَمَحَبَّتُهُمْ]

١٥ وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قَدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ

١٦ وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

## ————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

تمهيد:

هَذَا بَحْثٌ فِي حَقِّ الصَّاحِبَةِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ -، وَهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُم خَيْرُ الْقُرُونِ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»<sup>(١)</sup>، قَالَ الرَّاوي: لَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؟ يَعْنِي: تَكُونُ أَرْبَعَةُ قُرُونٍ، وَيُسَمُّوْنَهَا الْقُرُونُ الْمُفْضَلَةَ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

وْخَيْرُ هَذِهِ الْقُرُونِ هُوَ قَرْنُ الصَّاحِبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ مَدَحَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

(١) رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، ومسلم (٢١٤) (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢١٣) (٢٥٣٤).

فَاللَّهُ جَلَّوَعَلَا أَتْنَى عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ :  
 حَصَرَ الصَّدَقَ فِيهِمْ لِتَحَقُّقِهِ فِيهِمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا.  
 ثُمَّ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ الزَّانِدَةِ وَالْمَلَا حِدَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ وَيَتَهَجَّمُ عَلَى  
 الصَّحَابَةِ وَيَذُمُّهُمْ! وَاللَّهُ جَلَّوَعَلَا يَقُولُ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فَهَذَا مُكَذِّبٌ لِلَّهِ  
 عَزَّوَجَلَّ.

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا فِي الْأَنْصَارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يَعْنِي: دَارَ  
 الْهَجْرَةِ، وَهُمْ الْأَنْصَارُ فِي الْمَدِينَةِ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ  
 حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ  
 نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، هَذَا ثَنَاءٌ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَمَدْحٌ لَهُمْ،  
 وَذِكْرٌ لِمُصَفَاتِهِمْ الْحَمِيدَةِ، وَاللَّهُ جَلَّوَعَلَا أَثَبَتَ لَهُمُ الْفَلَاحَ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَقَاهُمْ شُحَّ أَنْفُسِهِمْ، فَصَارُوا  
 ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ خَصَاصَةٌ -أَي: جُوعٌ، فَهُمْ  
 يُؤْثِرُونَ حَاجَةَ إِخْوَانِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ، وَلَمَّا هَاجَرَ إِلَيْهِمْ إِخْوَانُهُمْ وَأَسْوَأَهُمْ،  
 وَفَتَحُوا لَهُمْ صُدُورَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ، وَأَشْرَكَوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَفِي بُيُوتِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى  
 عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

ثُمَّ قَالَ فِي الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ :  
 بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا  
 الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾  
 [الحشر: ١٠]، هَذَا فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ الْوَاجِبَ لِلصَّحَابَةِ رَضَا اللَّهِ عَنْهُمْ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ،  
 وَالِاعْتِرَافُ بِسَبْقِهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَسُؤَالُ اللَّهِ أَنْ يُنَزِّهَ قُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ وَالْحَقْدِ عَلَيْهِمْ

والبُغْضِ لَهُمْ، فَهَذَا فِيهِ الشَّاءُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَبَيَانُ مَا يَجِبُ لَهُمْ عَلَى مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(١)</sup>، لَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٍ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كُلَّهُ، مَا بَلَغَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِثْلَ صَدَقَةِ الصَّحَابِيِّ بِالْمُدِّ مِنَ الطَّعَامِ، أَوْ نِصْفِ الْمُدِّ، فَجَبَلُ الذَّهَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ لَا يُعَادِلُ الْمُدَّ مِنَ الطَّعَامِ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ لِفَضْلِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ؛ لِأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ مُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ شَرَفُ الْعَامِلِ عِنْدَ اللَّهِ.

ثُمَّ هُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ:

- فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدَّمَهُمْ فِي الذِّكْرِ، وَلَأَنَّهُمْ تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَنَبَّغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨].

- ثُمَّ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْجَمِيعِ.

- ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

- ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ: الَّذِينَ شَهِدُوا غَزْوَةَ بَدْرٍ.

- ثُمَّ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَخْبَرَ

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢٢) (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٢١) (٢٥٤٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْفَجَرَةِ وَيَذُمُّ الصَّحَابَةَ! قَبَحَ اللَّهُ أَهْلَ السُّوءِ وَالضَّلَالِ.

- ثُمَّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، (وَكُلًّا) يَعْنِي: الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ الْفَتْحِ وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ وَهِيَ الْجَنَّةُ.

فَالصَّحَابَةُ لَا يَلْحَقُهُمْ أَحَدٌ فِي الْفَضْلِ مَهْمَا عَمِلَ، وَلَكِنْ حَسْبُهُ أَنْ يُحِبَّهُمْ وَيَقْتَدِيَ بِهِمْ وَيُتَنَّى عَلَيْهِمْ، وَأَلَّا يَنْتَقِصَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا يَتَلَمَّسَ أخطاءَهُمْ وَلَا يَخُوضَ فِيهَا حَصَلَ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ، وَجَرَّهَا عَلَيْهِمُ الْأَشْرَارُ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُوضَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَالتَّرْحُمِ عَلَيْهِمْ، وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُمْ، وَالرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُمْ، فَنَحْنُ نُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يُحِبُّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مِنْ أَيْنَ وَصَلَ إِلَيْنَا؟ هَذَا الْقُرْآنُ وَهَذِهِ السُّنَّةُ، أَلَيْسَتْ عَنْ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ؟

فَهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ لِمَا تَحَمَّلُوهُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَلَّغُوهُ لَنَا بِأَمَانَةٍ، كُلُّ حَدِيثٍ تَجَدُّ فِيهِ عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ عَنْ صَحَابِيٍّ، فَهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ، الَّذِينَ حَفِظُوا لَنَا سُنَّتَهُ، وَحَفِظُوا لَنَا الْقُرْآنَ، وَبَلَّغُوهُ لَنَا.

ثُمَّ مَنْ هُمْ الَّذِينَ نَشَرُوا الْإِسْلَامَ بِجِهَادِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ؟ أَلَيْسُوا هُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! مَنْ هُمْ الَّذِينَ قَمَعُوا الْمُرتدِّينَ وَالْمُعْتَدِينَ

بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! أليسوا هم الذين ثَبَّتَ اللهُ بِهِمَ هَذَا الدِّينَ لَمَّا أَرَادَ أَهْلُ الشَّرِّ اسْتِغْلَالَ وَفَاةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرَادُوا التَّشْكِيكَ فِي الدِّينِ وَرِدَّةَ النَّاسِ وَصَرْفَهُمْ عَنْهُ؟! ثَبَّتَ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَادَةِ أَفْضَلِهِمْ وَخَيْرِهِمْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذِهِ بَعْضُ فَضَائِلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَالسَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ الْمُصَنِّفِينَ فِي الْعَقَائِدِ يَذْكُرُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ هُوَ: الرَّدُّ عَلَى الْفِرَقِ الضَّالَّةِ الْمُعَادِيَةِ لِلْإِسْلَامِ، الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَطْعَنَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَجِدْ طَرِيقًا أَقْرَبَ مِنَ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا هَذَا الدِّينَ وَبَلَّغُوهُ لِلأُمَّةِ، فَإِذَا طَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ - وَهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ - فَقَدْ طَعَنُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَقَلُوهُ لَا يُحْتَجُّ بِهِمْ! هَذَا قَصْدُهُمْ.

وَالْمُعَادُونَ لِلصَّحَابَةِ هُمُ ثَلَاثُ طَوَائِفَ: الرَّافِضَةُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالنَّاصِبَةُ، لَكِنَّ أَخْبَثَهُمُ الرَّافِضَةُ.

- أَمَّا الْخَوَارِجُ: فَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا هُوَ التَّشَدُّدُ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ الطَّعْنُ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُمْ فَعَلُوا هَذَا عَنْ غُلُوٍّ وَتَطَرُّفٍ وَتَشَدُّدٍ، وَلَمْ يَعْمَلُوهُ طَعْنًا فِي الدِّينِ، بَلْ إِنَّ هَذَا - بِزَعْمِهِمْ - مِنْ حُبِّهِمُ لِلدِّينِ وَحِرْصِهِمْ عَلَيْهِ!

- وَأَمَّا النَّوَاصِبُ: فَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى سَبِّ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَمْرٌ سِيَاسِيٌّ؛ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الطَّعْنَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَمْرِ سِيَاسِيٍّ فَحَسَبُ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِمَامَةَ، لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ الطَّعْنَ فِي الدِّينِ.

- أَمَّا الرَّوَافِضُ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - فَقَصَدُهُمُ الطَّعْنُ فِي الدِّينِ؛ لَأَنَّهُمْ إِذَا ذَمُّوا الصَّحَابَةَ وَطَعَنُوا فِيهِمْ، لَمْ يَتَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسِطَةً، وَالدِّينُ مَا جَاءَنَا إِلَّا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ فِي نَظَرِ الرَّافِضَةِ لَا يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِمْ! فَإِذَا هَذَا طَعْنٌ فِي الدِّينِ، هَذَا قَصْدُهُمْ.

وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَنْ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، وَأَنَّهُمْ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهَمْ يَشْتَرِكُونَ فِي فَضْلِ الصُّحْبَةِ، وَلَا يُشَارِكُهُمْ فِي هَذَا الْفَضْلِ أَحَدٌ، وَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ أَحَدٌ، لَكِنْ هُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَتَفَاضَلُونَ، بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَإِذَا ذَكَرْنَا أَنَّ بَعْضَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّنَا نَنْتَقِصُ الْمَفْضُولَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَنْتَقِصَ الْمَفْضُولَ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَسَبَقَ بَيَانُ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»<sup>(١)</sup>، فَالَّذِي سَمَّاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِالْتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُثَبِّتُونَهَا وَيَنْشُرُونَهَا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالسُّلْطَةِ وَالْوِلَايَةِ.

وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَاخْتَلَفُوا فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَوْمٌ فَضَّلُوا عُثْمَانَ، وَقَوْمٌ فَضَّلُوا عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا فِي التَّفْضِيلِ.

أَمَّا فِي الْخِلَافَةِ فَالْأَمَّةُ مُجْمَعَةٌ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ لِعُمَرَ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ، ثُمَّ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ هَذَا هُوَ تَرْتِيبُ الْخِلَافَةِ بِالْإِجْمَاعِ،

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»: «وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ»<sup>(١)</sup>، فَيُوجَدُ فَرْقٌ بَيْنَ مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ وَمَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ، فَبِإِثْبَاتِ مَسْأَلَةِ التَّفْضِيلِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَاخْتَلَفُوا فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ عُثْمَانَ أَفْضَلُ. لَكِنْ نَظَرًا لَوُجُودِ الْخِلَافِ يُذَكَّرُ الْخِلَافُ، وَإِلَّا فَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ أَصْحَابَ الشُّورَى قَدَّمُوا فِي الْخِلَافَةِ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمَسْأَلَةُ التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَمْرٌ هَاسِلٌ، لَكِنَّ الطَّعْنَ فِي الْخِلَافَةِ ضَلَالٌ؛ لِأَنَّ الرَّافِضَةَ يَقُولُونَ: الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ عَلِيٌّ، وَهُوَ الْوَصِيُّ، وَإِنَّ الصَّحَابَةَ ظَلَمُوهُ وَاعْتَصَبُوا الْخِلَافَةَ! وَيَلْعَنُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيُسَمُّوْنَهَا صَنْمَى قُرَيْشٍ!! فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ وَمُخَالَفَةٌ لِلْإِجْمَاعِ، فَالْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ، وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ [النور: ٢٢]، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَ مِسْطَحَ بْنِ أَثَانَةَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَكَانَ قَرِيبًا لَهُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْخَدَعَ بِالَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْإِفْكِ وَصَدَّقَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ، غَضِبَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، وَأَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ﴾: يَعْنِي: لَا يَخْلِفُ، ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾: فَوصَفَ أَبَا بَكْرٍ بِأَنَّهُ مِنْ أُولَى الْفَضْلِ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص ١٩٣) بشرح المؤلف - حفظه الله تعالى.

(٢) قصة مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في منع النفقة، رواها البخاري في حديث الإفك الطويل (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٤٧٥٧)، ومسلم (٥٦) (٢٧٧٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه: =

وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠]، مَن هُمَا الاثنان؟ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ. هَذَا بِالْإِجْمَاعِ، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: أَثَبْتَ لَهُ صُحْبَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَبُو بَكْرٍ هُوَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ؛ كَمَا نَطَقَتْ بِهِذَا أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

وَهُوَ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَذَلِكَ لِسَابِقَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَمُنَاصَرَتِهِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُلَازِمَتِهِ لَهُ، وَلَمَّا مَاتَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى اخْتِيَارِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمَّا ارْتَدَّ مَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، فَالَّذِي ثَبَتَ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَاتَلَهُمْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ، حَتَّى ثَبَتَ اللَّهُ بِهِ هَذَا الدِّينَ وَقَمَعَ بِهِ أَهْلَ الرَّدَّةِ. وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

= قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُلَا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب لأن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه... اهـ.

(١) من الأحاديث في فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسابقتها:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...) رواه البخاري (٣٦٥٥)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٦٧/٢) وفيه: «فيلبغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ينكره»، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث»، رواه أحمد وابنه عبد الله في «المسند» من طرق (١٠٦/١)، ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٩/١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١/٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠١) (٥٧٠/٢).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر» أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠١/١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٤)، والخطيب في «تاريخه» (٤٣٨/١٢).

وَيُسَمَّى بِالصَّدِيقِ. وَدَرَجَةُ الصَّدِيقِينَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والصَّدِيقُ: هُوَ كَثِيرُ الصَّدَقِ، وَالْمُبَالِغُ فِي الصَّدَقِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ: عُمَرُ الْفَارُوقُ، وَسُمِّيَ بِالْفَارُوقِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لَمَّا أَسْلَمَ بَعْدَ حَمْزَةَ اعْتَزَّ الْإِسْلَامُ بِإِسْلَامِهَا، وَقَبْلَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُسْتَضْعَفِينَ وَمُخْتَفِينَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَرَجُوا مَعَهَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكَانَ لَا أَحَدَ يَقْرَبُهُمْ وَمَعَهُمْ حَمْزَةُ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَئِذٍ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِهِمَا، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»<sup>(٢)</sup>، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِالْفَارُوقِ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (١٠٢) (٢٦٠٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٤-٣٨٦٣).

وانظر: «البداية والنهاية» (٧٩/٣)، ط. مكتبة المعارف، و«الكامل» (٦٠٢/١)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) قال ابن الأثير في «الكامل» (٤٤٩/٢): (وسماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفاروق، وقيل بل سماه أهل الكتاب).

قال الطبري (٥٦٢/٢): (وكان يقال له الفاروق، وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك، فقال بعضهم: سماه بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعزاه لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).

وقال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم...

وقال في «سمط النجوم العوالي» (٤٩٤/٢): أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبَهُ، وَعُمَرُ الْفَارُوقُ فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ».

وهو الخليفة الثاني، وهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر الصديق؛ كما في البخاري وغيره<sup>(١)</sup>.

وهما وزيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي المستشاران للرسول صلى الله عليه وسلم. والوزير: هو المؤازر والمؤيد لولي الأمر، قال الله جل وعلا في موسى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، يؤازره؛ لأن موسى دعا ربه فقال: ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [٢٩] ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ [٣٠] أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى [٣١] وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِى [طه: ٢٩-٣٢]، هذا هو الوزير. الذي يُشارك في الرأي ويُؤازر ولي الأمر ويُشير عليه بالنصح، فأبو بكر وعمر هما وزيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن هارون وزير موسى عليهما السلام.

قول الناظم رحمه الله تعالى: (نَمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ): الثالث في الفضل هو: عثمان رضي الله عنه، وهو من أول السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرة: هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وأنفق الأموال في سبيل الله عز وجل وحفر بئر رومة للمسلمين، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَحْفَرْ هَذَا الْبَيْتَ وَلَهُ الْجَنَّةُ»<sup>(٢)</sup>، فحفرها عثمان رضي الله عنه، وأوقفها للمسلمين، وجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ بِكَامِلِهِ مِنْ مَالِهِ، وهو الذي تولى

= وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص ١١٣) ط. السعادة: «عن ابن عباس قال: سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبل ثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد...» وذكر قصة إسلامه، وفي آخرها «فخرنا صفيين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلت المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفاروق) يومئذ؛ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل» [أخرجه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن عساكر]. اهـ.

(١) روى البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٨) (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ فقال: «عمر بن الخطاب».

(٢) رواه البخاري (٢٧٧٨) في كتاب «الوصايا»، وعلقه في مناقب عثمان رضي الله عنه قبل حديث (٣٦٩٥).

الخِلاَفَةُ بَعْدَ عُمَرَ بِإِجْمَاعِ أَصْحَابِ الشُّوْرَى الَّذِينَ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَايَعُوهُ وَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ.

وَهُوَ - أَيْضًا - زَوْجُ بَنِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُقِيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى ذَا النُّورَيْنِ؛ لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ بَنِيَّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ يُفَاوِضُ الْمُشْرِكِينَ وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ، بَايَعَ لَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «وَهَذِهِ لِعُثْمَانَ»<sup>(١)</sup>، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَهُوَ غَيْرُ حَاضِرٍ؛ لِأَنَّهُ فِي مَكَّةَ.

وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ الْمُصْحَفَ الْإِمَامَ - الْمُسَمَّى مُصْحَفَ عُثْمَانَ - بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ، الَّذِي عَلَيْهِ الْمَصَاحِفُ الْيَوْمَ. فَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ \* عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ): ثُمَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ فِي الْفَضْلِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»<sup>(٢)</sup>، هَذَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، لَمَّا خَلَفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّفَ، فَالْنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْنَعَهُ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمَّا ذَهَبَ إِلَى مَوْعِدِ رَبِّهِ اسْتَخْلَفَ هَارُونَ، وَقَالَ لَهُ: ﴿أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢]. اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ

(١) قصة المبايعة رواها البخاري (٣٦٩٨، ٤٠٦٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٨٦-٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦، ٤٤١٦)، ومسلم (٣٢) (٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَا أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا تَقُولُهُ الرَّاغِصَةُ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَعَلَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى تَبُوكَ مِثْلَمَا فَعَلَ مُوسَى مَعَ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ذَهَبَ  
لِإِعَادِرِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ  
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهُوَ الَّذِي قَاتَلَ الْخَوَارِجَ، وَقَضَى عَلَى فِتْنَتِهِمْ وَأَرَاحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ،  
وَتَحَقَّقَتْ فِيهِ بُشْرَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَتْلِهِمْ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ: فَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ الْأَحْرَارِ عَلِيٌّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ  
أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْعَبِيدِ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَعَلِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَزَوْجُ ابْنَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَاطِمَةَ، وَأَبُو الْحَسَنِ: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ  
الْجَنَّةِ. فَلَهُ فَضَائِلُ عَظِيمَةٌ.

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا  
يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>، فَاسْتَشْرَفَ الصَّحَابَةُ كُلُّ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ  
يَكُونَ هَذَا الشَّخْصَ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَظِيمَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْجَمِيعِ.



(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٣٤) (٢٤٠٦) من حديث سهل  
ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## [فَضْلُ بَاقِيِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ]

١٧ وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرُحُ

١٨ سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمَدْحُ

## ————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

قوله: (وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ): الرَّهْطُ: هُمُ الْجَمَاعَةُ دُونَ الْعَشْرَةِ، وَيُقْصَدُ بِهِمْ هُنَا الْعَشْرَةُ الْمُبَشِّرُونَ بِالْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>.

(عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ): أَي: عَلَى نُوقٍ مِنَ الْجَنَّةِ.

(بِالنُّورِ تَسْرُحُ): تَسْرُحُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا.

لَمَّا ذَكَرَ الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذَكَرَ هُنَا بَقِيَّةَ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ السِّتَّةُ الْبَاقُونَ مِنَ الْعَشْرَةِ.

أَوَّلُهُمْ: (سَعِيدٌ): وَهُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَفِيلٍ، ابْنِ عَمِّ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، وَزَوْجِ أُخْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ وَأَرْضَاهُمْ.

الثَّانِي: (وَسَعْدٌ): وَهُوَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ الزُّهْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّالِثُ: (وَابْنُ عَوْفٍ): وَهُوَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَثْرِيَاءِ الصَّحَابَةِ، وَمِنَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ الْإِنْفَاقَ الْكَثِيرَ.

(١) انظر: في فضل العشرة المبشرين بالجنة: «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ» (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)، الترمذي (٣٧٤٨)،

(٣٧٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٦٣٠)، وابن ماجه (١٣٤)، أحمد (١٨٧/١، ١٨٨، ١٨٩)،

وابن أبي عاصم (١٤٢٨، ١٤٣١)، والحاكم (٣/٣١٦) من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرَّابِعُ: (وَطَلْحَةُ): وهو: طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخَامِسُ: (وَعَامِرُ): وهو: أَبُو عُبَيْدَةَ، عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَ(فِهْرٍ): مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ آبَاءِ الْقُرَشِيِّينَ.

السَّادِسُ: (وَالزُّبَيْرُ الْمُدَحُّ): وهو: الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هَؤُلَاءِ السِّتَّةُ، مَعَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، صَارُوا عَشْرَةً مُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ مِنْ قُرَيْشٍ.



[إِحْسَانُ الْقَوْلِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَحُكْمُ الطَّعْنِ فِيهِمْ]

١٩ وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٠ فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

## — — — الشَّرْحُ — — —

ذَكَرْنَا هُنَا بِقِيَّةِ الصَّحَابَةِ بَعْدَمَا ذَكَرَ الْعَشْرَةَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ: (وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ): حَتَّى لَا يُظَنَّ أَنَّ ذِكْرَ الْفَاضِلِ مِنَ الصَّحَابَةِ تَنْقُصُ لِلْمَفْضُولِ، بَلْ كُلُّهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ فَضْلُ الصُّحْبَةِ وَالْمُنَاصَرَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّلَقِّي عَنْهُ، فَقَدْ رَأَوْا الرَّسُولَ، وَآمَنُوا بِهِ، وَاجْتَمَعُوا بِهِ، وَصَلُّوا خَلْفَهُ، وَسَمِعُوا قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ): فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّ ثَنِي عَلَيْهِمْ وَتَمْدَحُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْمَدْحَ وَالثَنَاءَ.

(وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ): لَا يَجُوزُ تَنْقُصُ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أَوْ التَّمَاثُلُ الْعُيُوبِ لَهُمْ؛ كَمَا تَفْعَلُ الرَّافِضَةُ -قَبَّحَهُمُ اللَّهُ- فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ وَأَعْدَاءُ الْأُمَّةِ وَأَعْدَاءُ الْمِلَّةِ، وَكَمَا تَفْعَلُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالصَّحَابَةِ.

(فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ): الْوَحْيُ يَشْمَلُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ: قَرَأْنَا وَسَنَنَّا بِفَضْلِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالَّذِي يَطْعَنُ فِيهِمْ مُكَذِّبٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّاقِطُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿[التوبة: ١٠٠]﴾، وَفِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ثَنَاءً مُتَكَرِّرًا عَلَى صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَوَّلِهَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَرِيعًا﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿[الفتح: ٥]﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَالَ فِي آخِرِهَا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] يَعْنِي: صِفَتُهُمْ، ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾: الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَمِثْلُهُمْ﴾: أَي: صِفَتُهُمْ، ﴿فِي الْإِنْجِيلِ﴾: الَّذِي نَزَلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَصِفَتُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ.

وَقَالَ: ﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَغْتَاطُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَوْ يُبْغِضُهُمْ أَنَّهُ كَافِرٌ، بَنَصَّ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.



## [فَضْلُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٢١ وَسِبْطِي رَسُولُ اللَّهِ وَابْنِي خَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النُّقَاءِ تَبَحَّبُحُوا

## [فَضْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

٢٢ وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالِنَا مُعَاوِيَةُ، أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ أَمْنَحُ

## ————— ❦ —❦ الشَّرْحُ —❦ —————

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَسِبْطِي رَسُولُ اللَّهِ): يَعْنِي: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالسَّبْطُ: هُوَ ابْنُ الْبِنْتِ، وَالْحَفِيدُ: هُوَ ابْنُ الْإِبْنِ، فَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ هُمَا سِبْطَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، أَي: ابْنَا بِنْتِهِ فَاطِمَةَ، وَهُمَا «سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» لِلطَّبْرَانِيِّ (٢٦٧٦) (٣/٥٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ. وَفِي «الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ» (٦٥٤٠) (٦/٣٢٧) مَرْفُوعًا: (وَمِنْ سِبْطَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمَا ابْنَاكَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ).

وَانْظُرْ: «الْمَعْجَمُ الصَّغِيرُ» (٩٤) (١/٧٥).

(٢) رُويَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى قَالَ السَّيُوطِيُّ: هَذَا مُتَوَاتِرٌ. اَنْظُرْ: «فَيْضُ الْقَدِيرِ» (٣/٤١٥).

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٣٧٦٨)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٨١١٣)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٦٦/٣)، وَابْنُ حِبَّانَ (٦٩٥٩) «الْإِحْسَانِ»، وَوَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ» (١١٨)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١٦٧/٣)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ (١٨٢/٣)، وَعَنْ جَابِرٍ وَحَدِيقَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلِيٍّ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٦١٦، ٢٦٠٨، ٢٦٠٤، ٢٦٠١، ٢٥٩٨، ٢٦١٨، ٢٦١٧).

قوله: (وَأَبْنِي خَدِيجَةَ): أولادُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ من خَدِيجَةَ، ما عدا إبراهيمَ، فهو من مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ، وأمَّا بَقِيَّةُ أولادِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلُّهُمْ من خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وله منها ابنان مَاتَا في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مَكَّةَ.

قوله: (وَفَاطِمَةُ...): هي فَاطِمَةُ بِنْتُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبها، وكانت إذا أَقْبَلَتْ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ.

قوله: (وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ): التي هي أَحَبُّ النِّسَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَحَبُّ الرِّجَالِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَبُو هَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَخَالُنَا مُعَاوِيَةُ): مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ، كَاتِبُ الْوَحْيِ، كَانَ يَكْتُبُ الْقُرْآنَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ أُخْتَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو خَالَ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَخُو أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ. وهذا من فضائلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، ومسلم (٨) (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## [فَضْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ]

٢٣ وَأَنْصَارُهُ وَالْمُهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ كَيْفَةِ النَّارِ زُحْرُوحَا

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ❦ —————

وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ - أَيُّضًا - لَهُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا:  
﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

- الْمُهَاجِرُونَ: الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرُوا مِنْ أَوْطَانِهِمْ لِنُصْرَةِ  
الإِسْلَامِ.

- وَالْأَنْصَارُ: الَّذِينَ نَاصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّاءَ إِخْوَانِهِمْ فِي دَارِ  
الهِجْرَةِ.

وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾  
[الحشر: ٨].

ثُمَّ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ  
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ  
بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوَفِّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قَوْلُهُ: (بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ كَيْفَةِ النَّارِ زُحْرُوحَا): أَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِصُحْبَتِهِمْ  
لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



## [فَضْلُ التَّابِعِينَ وَالْأُئِمَّةِ الْمُتَّبِعِينَ]

- ٢٤ وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا خَذَ وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَقْلَحُوا  
 ٢٥ وَمَالِكَ وَالثَّوْرِيَّ ثُمَّ أَخُوهُمْ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيَّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ  
 ٢٦ وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالْشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ إِمَامًا هُدَى مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْصَحُ  
 ٢٧ أَوْلِيكَ قَوْمٌ قَدْ عَاضَا اللَّهُ عَنْهُمْ فَأَحْبِبْنَهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ

## ————— ❦ — الشَّرْحُ — ❦ —————

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَا خَذَ): وَمِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ التَّابِعُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ التَّابِعِيُّ فَلِمَرَادٍ بِهِ مَنْ تَتَلَمَذَ عَلَى الصَّحَابِيِّ وَأَخَذَ عَنْهُ.

وَالْأَمَّا فَاسْمُ التَّابِعِ عَمُومًا يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ اتَّبَعَ وَسَارَ عَلَى نَهْجِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوَّلِينَ -الذين بعد الصَّحَابَةِ- وَالْآخِرِينَ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا لَمَّا ذَكَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا رَدٌّ عَلَى الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُلُوبِهِمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِيهِمْ بِالسَّتِّهِمْ، وَيَلْعَنُونَ وَيُكْفِّرُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى «وَمِنْ أَوْسُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسَّتِّهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>: سَلَامَةٌ قُلُوبِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾، وسَلَامَةٌ أَلْسِنَتِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، فهذه الآية فيها سَلَامَةٌ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسُنِ لَصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا مِنْهُجُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا مَنْ يُجَرِّحُ، ويلتمسُ العيوبَ، ويشكُّكُ في فضلِ الصَّحَابَةِ أو يُكْفِّرُهُمْ أو يلعنُهُم، فهذا مُخَالِفٌ لَهْدِي الإسلامِ، ومُعَادٍ لِدِينِ الإسلامِ، ومُعَادٍ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا طَعَنَ فِي صَحَابَةِ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَنَ فِي الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَنَ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ وَيَمْدَحُهُمْ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(وَمَالِكُ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمْ \* أَبُو عَمْرٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَيِّحُ):

يذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فضائل الأئمة، ومنهم هؤلاء الأئمة:

(وَمَالِكُ): وهو: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، إمامُ دارِ الهَجْرَةِ.

(وَالثَّوْرِيُّ): وهو: سفيانُ الثَّوْرِيُّ.

(... الْأَوْزَاعِيُّ): إمامُ أهلِ الشَّامِ.

(وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَالشَّافِعِيُّ): هو: الإمامُ محمد بنُ إدريس الشافعي.

(وَأَحْمَدُ): هو الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ.

قَوْلُهُ: (فَأَحْبِبُّهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ): تحبُّ السَّلَفَ الصَّالِحَ، وأئمةَ الإسلامِ، فَإِنَّ هذا علامةُ الإيِّمانِ.

(١) «العقيدة الواسطية» ضمن مجموع الفتاوى: (٣/ ١٥٢).

وانظر: «العقيدة الواسطية مع الشرح» للمؤلف حفظه الله تعالى (ص ١٨٤).

ولم يذكر المصنّف أبا حنيفة؛ لأن أبا حنيفة قيل: إنّهُ من التّابعين؛ لأنّه أدرك جماعة من الصّحابة. والصّحيح: أنّه من أتباع التّابعين، وأنّه لم يدرك الصّحابة، وإنّما أدرك التّابعين، فهو من القرن الثّالث، من القرون المفضّلة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وهو أوّل الأئمة الأربعة، المتبوعين في الزّمان.



## [الإيمان بالقدر]

٢٨ وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفِيحُ

————— ❦ —❦———— الشَّرْحُ ❦ —❦————

الإِيَانُ بِالْقَدَرِ هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيَانِ.

أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيَانِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(١)</sup>، فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيَانُ بِالْقَدَرِ سَادِسَ أَرْكَانِ الْإِيَانِ.

وَالْإِيَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ هُوَ: الْإِيَانُ بِعِلْمِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا، وَبِأَفْعَالِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ، فَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] أي: قَدَّرَ وَقُوعَهُ وَشَاءَ وَجُودَهُ وَخَلَقَهُ، وَقَدَّرَ صِفَاتِهِ وَوَقْتَهُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ. كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مُقَدَّرٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ:

١- مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِهِ.

٢- وَمِنْ جِهَةِ كِتَابَتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

٣- وَمِنْ جِهَةِ مَشِيئَةِ اللَّهِ لَهُ فِي وَقْتِهِ.

٤- وَمِنْ جِهَةِ خَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ.

(١) رواه مسلم (١) (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٥) (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكل شيء له صفات جعلها الله له، لا يزيد عنها ولا ينقص، فهذا شيء مقدر، كما قال تعالى في المطر: ﴿وَمَا نُزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] المطر معلوم الكمية، ومعلوم مكان النزول، ووقت النزول فهو معلوم لله تعالى من جميع جهاته. فما من شيء إلا والله جل وعلا علمه وخلقه وقدره، لم يوجد بدون خلق، ولا من غير سابق تقدير، ومن غير أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومن غير أن يشاء الله جل وعلا ويريده. فأمور الكون ليست فوضى، وإنما هي منضبطة بتقدير الله لها وإيجاده لها ومشيئته لها بصفات التي هي عليها. فهذا أمر مهم جداً.

والإيمان بالقضاء والقدر ضلّت فيه أفهام، وزلت فيه أقدام، ممن لم ينظروا في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وإنما اعتمدوا على عقولهم وأفكارهم، فتخبّطوا في القضاء والقدر تخبّطاً فظيلاً، وهدى الله أهل السنة والجماعة، فآمنوا به على الوجه الذي أراده الله وفرضه على عباده، بموجب نصوص الكتاب والسنة، كعادتهم في جميع أبواب العقيدة. والبحث في القضاء والقدر يتضمّن أموراً كثيرة:

### أولاً: معنى القضاء والقدر

القدر هو: تقدير الله جل وعلا للأشياء وإرادته لها وإيجادها في وقتها. هذا معنى القدر، وكذلك معنى القضاء.

وغالباً يأتي التعبير بالقضاء والقدر، ولا فرق بينهما، إلا أن القضاء أعم من القدر<sup>(١)</sup>؛ لأن القضاء يأتي بمعنى القدر؛ بمعنى أن الله قدر الأشياء وقضاها، ويأتي

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لأبي السعادات ابن الأثير (٧٨/٤)، ط. المكتبة العلمية، و«لسان العرب» لابن منظور (١٨٦/١٥)، و«شرح قصيدة ابن القيم» لابن عيسى (٧١/١).

بمعنى الفصل بين الناس والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧].

فالقضاء أعم من القدر، فبينهما عموم وخصوص.

### ثانياً: حكم الإيمان بالقضاء والقدر؛

الإيمان بالقضاء والقدر واجب وفرض على المؤمنين؛ لأنه ركن من أركان الإيمان  
الستة، ولأنه إيمان بقدرة الله جلّ وعلا ولهذا قالوا: «القدرُ قدرةُ الله، فمن جحدَه، فقد  
جحدَ قدرةَ الله جلّ وعلا»<sup>(١)</sup>. وفي بعض العبادات: «القدرُ سرُّ الله في خلقه»<sup>(٢)</sup>.

والبحث في القضاء والقدر لا يجوز أن يتعدى فيه ما جاء في النصوص من  
الكتاب والسنة، والتعمق فيه يُفْضِي إلى الضلال والحيرة؛ لأنه سرُّ الله في خلقه،  
فأنت حين تتعمق وتبحث فيه لن تصل إلى نتيجة؛ لأنك تبحث عن شيء أسره الله  
جلّ وعلا عن خلقه، وحسبك أن تؤمن به، فما تعمق فيه أحدٌ ووصل إلى نتيجة، بل  
وصل إلى الحيرة والاضطراب؛ ولذلك حسبك أن تتمشى مع النصوص الواردة في  
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر والإيمان به، وكيفيك هذا.

(١) انظر: «الإبانة» لابن بطة (٢/ ١٣١)، ط. دار الراية للنشر، و«منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٥٤)،  
ط. مؤسسة قرطبة.

(٢) أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٢٢) (٤/ ٦٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨١)،  
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكلموا بشيء من القدر فإنه سر الله  
فلا تفشوا سر الله». وروى نحوه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٨٨)، عن أنس بن  
مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «القدر سر الله فلا تفشه».

انظر: «الإبانة» لابن بطة (٢/ ١٤١)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥١٣)، و«فيض القدير»  
(١/ ٣٤٨)، و«تحفة الأحمدي» (٦/ ٢٧٩).

### ثالثاً: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر يتضمّن أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله علّم ما كان وما يكون بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً.

فما من شيءٍ إلّا ويعلمه الله جلّ وعلا يعلم ما كان وما يكون، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْطُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، فهو يعلم ما يكون بين الناس من الكلام والنجوى فيما بينهم وهو - سبحانه - ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ٢٣]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

فعلم الله شامل لما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كله داخل في علم الله جلّ وعلا الشامل المحيط بكل شيء: بالماضي والحاضر والمستقبل.

المرتبة الثانية: أن تؤمن وتعتقد أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء.

واللوح المحفوظ: لوح مخلوق، لا يعلم كيفيته وسعته إلّا الله جلّ وعلا فهو عنده جلّ وعلا يؤمن به، وتؤمن بالكتابة.

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا اَكْتُبُ؟ قَالَ: اَكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(١)</sup>، فَجَرَى بِهَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

فَأَيُّهَا أَسْبَقُ: الْعَرْشُ أَمْ الْقَلَمُ؟

١ - قَالَ قَوْمٌ: الْعَرْشُ أَسْبَقُ مِنَ الْقَلَمِ.

٢ - وَقَالَ قَوْمٌ: الْقَلَمُ أَسْبَقُ مِنَ الْعَرْشِ.

٣ - وَقَوْمٌ فَصَّلُوا، فَقَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٣)</sup>:

|                                                   |                                                 |
|---------------------------------------------------|-------------------------------------------------|
| وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي    | كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ          |
| هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ، أَوْ هُوَ، بَعْدَهُ؟ | قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمْدَانِيِّ |
| وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ       | قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ         |
| وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ      | إِيجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانٍ           |

فَالْكِتَابَةُ مُقَارَنَةٌ لَوْجُودِ الْقَلَمِ، حِينَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: «اَكْتُبْ»، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوُجُودُ فَالْعَرْشُ أَسْبَقُ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٣١٧/٥) واللفظ له، والطيايبي (٥٧٧)، والآجري في «الشریعة» (ص ١٧٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٤/١٠)، وفي «الأسماء والصفات» (ص ٣٨٧) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: النونية مع شرح ابن عيسى (١/٣٧٥).

وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، قَدَّرَهَا قَبْلَ الْكِتَابَةِ ثُمَّ كَتَبَهَا، فَالْكِتَابَةُ مُقَارَنَةٌ لِوُجُودِ الْقَلَمِ، وَوُجُودُ الْقَلَمِ مُتَأَخِّرٌ عَنْ وُجُودِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ أَسْبَقُ.

وهذه مسألة استطرادية، ولكن لا بدَّ من معرفتها؛ لأنها تدخل في مرتبة الكتابة، وهي الكتابة العامة الشاملة التي كُتِبَ فيها كلُّ شيء.

وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَأْمُرُ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ بِالْأَجِنَةِ أَنْ يَكْتُبَ الرِّزْقَ وَالْأَجَلَ وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»<sup>(١)</sup>.

**الجواب:** هَذِهِ الْكِتَابَةُ تَفْصِيلٌ لِلْكِتَابَةِ السَّابِقَةِ، وَهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْكِتَابَةِ السَّابِقَةِ الَّتِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

وَجَاءَ -أَيْضًا- فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: أَنَّ اللَّهَ يُقَدِّرُ مَا يَجْرِي فِي السَّنَةِ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ، أَوْ جَذْبٍ أَوْ خِصْبٍ، أَوْ رُخْصٍ الْأَسْعَارِ أَوْ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ، أَوْ الْحُرُوبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، هَذَا كُلُّهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّهُ يُقَدَّرُ فِيهَا مَا يَجْرِي فِي السَّنَةِ: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَفْصَلُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكِتَابَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْأَجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، =

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ - كَمَا سَبَقَ - : أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْكِتَابَةِ الْعَامَّةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ<sup>(١)</sup> ، فَلَا تَنَافِي وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ .

وَيَدُلُّ عَلَى هَاتَيْنِ الدَّرَجَتَيْنِ (الْعِلْمُ، وَالْكِتَابَةُ) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] ، ﴿نَبْرَأَهَا﴾: يَعْنِي نُوجِدُهَا وَنَخْلُقُهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي مِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: مَرْبَّةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ .

كُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ فَهُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا لَا يَشَاءُهُ وَلَا يُرِيدُهُ .

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] .

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] .

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

فَكُلُّ شَيْءٍ يَحْدُثُ قَدْ شَاءَهُ اللَّهُ وَأَرَادَهُ وَأَوْجَدَهُ، بَعْدَمَا عَلِمَهُ وَكَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

= وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك وغير واحد من السلف. اهـ.

انظر: «تفسير القرآن العظيم» (١٢/ ٣٣٤)، ط. مؤسسة قرطبة.

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٣٤٥)، ط. الرسالة.

وانظر: «أنواع الأقلام الأربعة في الشرح المذكور» (ص ٣٤٨).

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]: أَيْ: نَخْلُقُهَا وَنُوجِدُهَا، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى مَرْتَبَةِ الْكِتَابَةِ، وَمَرْتَبَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَمَرْتَبَةِ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ.

فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ لَا بَدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِهَا:

الْأُولَى: مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَرْتَبَةُ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ عِنْدَ وَقُوعِ الشَّيْءِ.

الرَّابِعَةُ: مَرْتَبَةُ خَلْقِ الشَّيْءِ وَإِيجَادِهِ.

هَذِهِ مَرَاتِبُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ<sup>(١)</sup>. مَن جَحَدَ وَاحِدَةً مِنْهَا لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

**رَابِعًا: الْمُخَالَفُونَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:**

خَالَفَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ طَائِفَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ: الْقَدَرِيَّةُ وَالْجَبَرِيَّةُ.

١ - الْقَدَرِيَّةُ<sup>(٢)</sup>: الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ، سُمُّوا بِالْقَدَرِيَّةِ.

(١) انظر: «شفاء العليل» (ص ٤٩، ٢٩)، ط. دار الفكر.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَدَرِ فَأُولَ مِنْ تَكَلَّمَ بِهَا مَعْبِدُ الْجَهَنِيِّ، رَجُلٌ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ حِظٌّ مِنَ الْعِلْمِ، يُقَالُ لَهُ: مَعْبِدُ بْنُ خَالِدٍ، وَيُقَالُ: مَعْبِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوِيْمِرٍ، مَاتَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مَعَ الْأَشْعَثِ وَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدَرِ، وَهُوَ الَّذِي تَبَرَأَ مِنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، فَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَجَادَلَ بِهِ غِيلَانٌ، وَغِيلَانٌ هُوَ ابْنُ أَبِي غِيلَانَ، أَبُو مَرْوَانَ مِنْ مَوَالِي عِثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَكَانَ عِنْدَهُ حِظٌّ مِنَ الْعِلْمِ تَكَلَّمَ بِهِ أَمَامَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَاسْتَتَابَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ ظَهَرَ مِنْهُ تَكْذِيبُ التَّوْبَةِ، وَصَلَبَ عَلَى بَابِ الشَّامِ بِأَخْزَى حَالَةٍ لَقِيَهَا بَشَرٌ، قِصَّتُهُ قَدْ تَقَصَّيْتُهَا فِي كِتَابِ «تَكْفِيرِ الْجَهْمِيَّةِ».

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ<sup>(١)</sup>، واعتزلاً مجلس الحسن البصري.

فالقدرية الذين نفوا القدر هم المعتزلة<sup>(٢)</sup>، وقالوا: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ! وَإِنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ: لم يُقَدِّرْهُ اللهُ! فأفعال العباد هم الذين يُوجِدُونَهَا اسْتِقْلَالًا، ليس لله فيها إرادة ولا مشيئة! ولذلك سُمُوا بِالْقَدَرِيَّةِ.

= وأما عمرو بن عبيد، وهو عمرو بن عبيد بن كيسان بن ثابت، مولى بني تيم البصري مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ومات في طريق مكة، فإنه أول من بسط لسانه وأصبح رأساً، ونظم له كلاماً ونصبه إماماً ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهباً يسلك، وهو إمام الكلام، وداعية الزندقة الأول، ورأس المعتزلة، سمي به لاعتزال حلقة الحسن البصري، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك ابن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة، وحذر منه إمام أهل المشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي). اهـ.

انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٧٤-٢٧٥)، و«السير» (٤/ ١٨٥-١٨٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٢٦).

(١) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة المخزومي مولا هم البصري، رأس الاعتزال، كان بليغاً مُقَوِّهاً، هو وعمرو بن عبيد رأساً الاعتزال توفي سنة ١٣١ هـ. وقال إساق بن سويد العدوي:

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ      مِنَ الْغَزَالِ مِنْهُمْ وَابْنُ بَابٍ  
وَمَنْ قَوْمٌ إِذَا ذُكِرُوا عَلِيًّا      يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ

انظر: «السير» (٥/ ٤٦٤)، و«الفرق بين الفرق» (١١٥-١١٨)، و«الملل والنحل» (١/ ٦٤).

(٢) قال ابن أبي العز عن المعتزلة: (هم أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأصحابها، سُمُوا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة).

وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمر بن عبيد تلميذ الحسن البصري. وهم مشبهة الأفعال).

انظر: «شرح الطحاوية» (٧٩١-٧٩٢).

والمعتزلة وضع لهم أبو الهذيل كتابين، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة: العدل، التوحيد، إنفاذ الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

انظر: المصدر السابق.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ أَثْبَتَ خَالِقِينَ مَعَ اللَّهِ! وَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ جَلَّ وَعَلَا وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: اللَّهُ مَعَهُ مَنْ يَخْلُقُ، وَهُمْ الْعِبَادُ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ!

وَهَذَا شِرْكٌ فِي الرِّبَوِيَّةِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا خَالِقِينَ مَعَ اللَّهِ، مِثْلَ الْمَجُوسِ، الْمَجُوسُ قَالُوا: هَذَا الْكَوْنُ لَهُ خَالِقَانِ: النُّورُ يَخْلُقُ الْخَيْرَ، وَالظُّلُمَةُ تَخْلُقُ الشَّرَّ! وَزَادَ عَلَيْهِمُ الْقَدَرِيَّةُ، فَقَالُوا: كُلُّ شَيْءٍ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ، فَأَثْبَتُوا خَالِقِينَ مُتَعَدِّدِينَ مَعَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَهَذَا شِرْكٌ فِي تَوْحِيدِ الرِّبَوِيَّةِ.

٢- قَابَلْتَهُمْ فِرْقَةَ الْجَبَرِيَّةِ، وَهُمْ: أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ<sup>(٢)</sup>، فَقَالُوا: الْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ وَلَا مَشِيئَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى مَا يَحْصُلُ مِنْهُ بِدُونِ اخْتِيَارٍ، فَهُوَ كَالآلَةِ بِيَدٍ مَنْ يُحَرِّكُهَا، وَكَالرِّيشَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ، وَكَالْجَنَازَةِ عَلَى النَّعْشِ! فَالْعَبْدُ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ آلَةٌ تُحْرَكُ.

فَالْجَبَرِيَّةُ غَلَوُا فِي إِثْبَاتِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَنَفَوْا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَإِرَادَتَهُ.

وَالْمُعْتَزَلَةُ - عَلَى النَّقِیْضِ - غَلَوُا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ، وَنَفَوْا مَشِيئَةَ

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا.

(١) رواه أبو داود (٤٦٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥/٣)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٥٩)، واللالکائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/٦٣٩)، والبيهقي في «الکبرى» (١٠/٢٠٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الجهم بن صفوان: الترمذي الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، وقتل بخراسان على يد سلم بن أحوز سنة ١٢٨ هـ.

انظر: «شرح الطحاوية» (ص ٧٩٤)، و«الفرق بين الفرق» (ص ١٩٤)، و«الملل والنحل» (١/٨٦).

فكُلُّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ غَلَا فِي شَيْءٍ:

فَالْقَدَرِيَّةُ: غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ، حَتَّى قَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ وَتَحَلُّقُ مَا يُرِيدُ.

وَالْجَبْرِيَّةُ: غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، حَتَّى نَفَوْا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَإِرَادَتَهُ.

- وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَوَسَّطُوا، فَقَالُوا: كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَمِنْهَا أَفْعَالُ الْعِبَادِ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ، وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ لَهُ مَشِيئَةٌ وَلَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ عَنِ اللَّهِ، كَمَا تَقُولُهُ الْقَدَرِيَّةُ، وَلَيْسَ مُجْبَرًا، كَمَا تَقُولُهُ الْجَبْرِيَّةُ، بَلْ هُوَ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ بِاخْتِيَارِهِ وَمَحْضِ إِرَادَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ يُثَابُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيُعَاقَبُ عَلَى فِعْلِ الشَّرِّ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ كَانَ مُجْبَرًا فَإِنَّهُ لَا يُعَاقَبُ. كَيْفَ يُعَاقَبُ عَلَى شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا مَشِيئَةٌ أَوْ إِرَادَةٌ؟

وَلِذَلِكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يُؤَاخِذُ الْمَجْنُونَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ إِرَادَةٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ الْمَكْرَهَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ النَّائِمَ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ فِكْرٌ وَعَقْلٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الصَّغِيرِ حَتَّى يَخْتَلِمَ، وَالْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَالنَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»<sup>(١)</sup>، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَتْ لَهُمْ إِرَادَةٌ أَوْ مَشِيئَةٌ، فَلَا يُؤَاخِذُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَقَتَ غِيَابِ عُقُولِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

أَمَّا مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ إِرَادَةٌ وَعِنْدَهُ مَشِيئَةٌ وَاخْتِيَارٌ فَإِنَّهُ يُثَابُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَيُعَاقَبُ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُ فَعَلَهَا بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ:

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٠٤٥)، وَابْنُ حِبَانَ (١٤٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١١١٤١)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْكِبْرَى» (٢٦٤/٨)، وَالحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢٥٨/١)، (٥٩/٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَلَفَظَ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي...».

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ﴿وَعَمِلُوا﴾،  
فَأَسْنَدَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٦] فَأَسْنَدَ الْكُفْرَ إِلَيْهِمْ؛  
لَأَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، وَيَقُولُ: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾  
[الجن: ٢٣]، فَأَسْنَدَ الْمَعْصِيَةَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فِعْلِهِمْ.

فَهِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الْفِعْلِ: أَفْعَالُ الْعِبَادِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ الْقَدَرِ: مُقَدَّرَةٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا  
فِيهِ قَدْرُ اللَّهِ وَهِيَ فِعْلُ الْعَبْدِ، جَمْعًا بَيْنَ النُّصُوصِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ  
يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩].

فَقُولُهُ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾: هَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَبَرِيَّةِ الَّذِينَ يَنْفُونَ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ، فَدَلُّ  
عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَقِيمُ بِمَشِيئَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: هَذَا رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ  
الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ مُسْتَقِلَّةٌ، وَالْعَبْدُ يَفْعَلُ اسْتِقْلَالًا، فَالْآيَةُ رَدٌّ عَلَى  
الطَّائِفَتَيْنِ.

وَفِي الْآيَةِ: إِثْبَاتُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِيَ هِيَ  
فِعْلُ الْعِبَادِ، وَهِيَ قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ، قَدَّرَهَا عَلَيْهِمْ، وَفَعَلُوهَا بِاخْتِيَارِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ  
وَإِرَادَتِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ -غَيْرُ الْمُكْرَه- يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَتْرُكَ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَدَّقَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ. كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الصَّلَاةَ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. يَتْرُكُ هُوَ بِاسْتَطَاعَتِهِ  
وَإِخْتِيَارِهِ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ. يُقَدِّمُ عَلَى الزُّنَا، وَعَلَى شُرْبِ

الْحَمْرِ، وَعَلَى أَكْلِ الرُّبَا بِاخْتِيَارِهِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ الرُّبَا، وَيَتْرِكَ الزُّنَا، وَيَتْرِكَ  
الْمُحَرَّمَاتِ، فَهُوَ بِاخْتِيَارِهِ وَمَشِئَتِهِ يَفْعَلُ هَذَا. وَكُلُّ يَعْرِفُ هَذَا.

وَالْجَبْرِیَّةُ لَا يُطَبِّقُونَ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالُوهُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا  
اعْتَدَى عَلَيْهِمْ: ضَرَبَهُمْ أَوْ قَتَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ، أَلَيْسُوا يُطَالِبُونَ بِالْإِنْتِقَامِ وَالْقِصَاصِ؟!  
كَيْفَ يُطَالِبُونَهُ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُجْبَرٌ وَلَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ؟! هَذَا مِنْ بَابِ التَّنَاقُضِ.

أَيْضًا هُمْ يُطَالِبُونَ الرِّزْقَ وَيَتَزَوَّجُونَ، فَإِذَا كَانُوا مُجْبَرِينَ - كَمَا يَقُولُونَ - لِمَاذَا  
يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ وَيَطْلُبُونَ إِجَادَ الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ؟!

فَهُمْ لَا يُطَبِّقُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ الْحَبِيثَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ؛ وَلِذَلِكَ يُطَالِبُونَ بِالْإِنْتِقَامِ  
وَالْقِصَاصِ، وَيَتَزَوَّجُونَ، وَيَطْلُبُونَ الرِّزْقَ.

فَهَذَا مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَهَذِهِ نَتِيجَةُ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْأَفْكَارِ،  
وَالْعُقُولِ الْمُجَدَّدَةِ أَوْ الْفَاسِدَةِ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى أَقْوَالِ وَأَرَاءِ النَّاسِ بِدُونِ رُجُوعٍ إِلَى  
كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَا تَنَافِي بَيْنَ: الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ.  
فَأَنْتَ تُوَمِّنُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا تُعْطِلُ الْأَسْبَابَ، بَلْ  
تَطْلُبُ الرِّزْقَ، وَتَتَزَوَّجُ، وَتَطْلُبُ التِّجَارَةَ، وَتَسْعَى فِي الْأَرْضِ تَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.  
لَا تَقُولُ أَعْتَمِدُ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مُقَدَّرٌ فَسَوْفَ يَأْتِينِي، وَإِنْ  
لَمْ يَكُنْ مُقَدَّرًا لِي فَلَنْ يَأْتِينِي!

هَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ. حَتَّى الطُّيُورُ وَالْبَهَائِمُ - بِفِطْرَتِهَا - تَذْهَبُ تَطْلُبُ الرِّزْقَ،  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطُّيْرَ:

تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(١)</sup>، الطُّيُورُ لَمْ تَقْعُدْ فِي أَوْكَارِهَا، فِطْرَتُهَا تَقْتَضِي أَنَّهَا تَتَحَرَّكُ وَتَذْهَبُ لِتَطْلُبَ الرِّزْقَ، «تَغْدُو خِمَاصًا»: فِي الصَّبَاحِ، «وَتَرُوحُ»: فِي الْمَسَاءِ، «بِطَانًا»: شَبَعَى.

فَلَا تَنَافِي بَيْنَ: الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ. إِنَّهَا يَقُولُ هَذَا الْجَبْرِيَّةُ.

وَلَكِنَّ الْأَسْبَابَ لَا تَسْتَقِلُّ بِإِيجَادِ النَّتِيجَةِ، إِنَّهَا الْمُسَبَّبُ هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا رَدًّا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ. فَلَا نَعْلُوا فِي إِثْبَاتِ الْأَسْبَابِ كَالْقَدَرِيَّةِ، وَلَا نَعْلُوا فِي نَفْيِ تَأْثِيرِهَا، كَمَا يَقُولُهُ الْجَبْرِيَّةُ. فَاتَّخَذُ الْأَسْبَابِ أَمْرًا مَطْلُوبًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وَقَالَ: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] وَاللَّهُ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَأَمَرَ بِالطَّاعَاتِ، وَهَذَا مِنْ فِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَنَهَى عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ، كَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْفُسُوقِ.

فَلَيْسَ مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ أَنَّ تُعْطَلَ الْأَسْبَابَ، بَلْ تَمْضِي فِي طَلَبِهَا مَعَ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَتَبَ لَكَ شَيْئًا سَيَأْتِيكَ، وَلَكِنْ لَا يَأْتِي لَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ جَالِسٌ، لَا بَدَّ أَنْ تَفْعَلَ السَّبَبَ؛ وَهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»<sup>(٢)</sup>.

فَأَنْتَ تَفْعَلُ السَّبَبَ فَإِنْ حَصَلَتِ النَّتِيجَةُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلِ النَّتِيجَةُ فَإِنَّكَ تَرْضَى وَتَسَلِّمُ أَنَّ اللَّهَ مَا كَتَبَ لَكَ شَيْئًا. فَهَذَا الْحَدِيثُ وَاضِحٌ فِي فِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّهُ

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد في «المسند» (٣٠ / ١)، وابن حبان (٧٣٠) (٥٠٩ / ٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢١٢ / ١)، والحاكم (٣١٨ / ٤) وقال:

حديث صحيح ولم يخرجاه. من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٣٤) (٢٦٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر تعطيل الأسباب، أو أن فعل الأسباب يستقل بإيجاد النتائج - كما تقوله المعتزلة - بل الأسباب يفعلها العبد من طاعة أو معصية، والنتائج بيد الله، هو الذي يرتب النتائج والمسببات على أسبابها.

### خامساً: فوائد الإيمان بالقضاء والقدر؛ الإيمان بالقضاء والقدر له فوائد عظيمة:

الفائدة الأولى: - وهي أعظمها - : استكمال أركان الإيمان، فمن جحد القضاء والقدر فإنه لم يستكمل أركان الإيمان، التي فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بها: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

الفائدة الثانية: أن العبد يمضي ولا يستسلم للأوهام والخوف، وإنما يمضي ويقول: ما قدر الله فإنه سيكون؛ جلست أو لم أجلس.

ولهذا حكى الله عن حال المنافقين يوم أحد، فقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، فليس الجلوس في البيوت يمنع من الموت، وليس الخروج للجهاد يوقع الموت، أو يجلب الموت إذا لم يقدره الله، فهو سبب، ولكن إذا لم يقدره الله فلا أثر ولا نتيجة له.

كم الذين يدخلون المعارك ويخرجون سالمين معافين؟ وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: «ما في جسمي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة»<sup>(٢)</sup>،

(١) سبق تخرجه (ص ١١٧).

(٢) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٤/ ٣١٦)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٦/ ٢٧٣)، و«السير» (١/ ٣٨٢).

وَكَانَ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ، وَخَاصَّ مَعَارِكَ عَظِيمَةً، وَتَمَنَّى أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ذَلِكَ.

فَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَبْعَثُ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَمَّا الْقَعُودُ فَلَا يُغْنِي شَيْئًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وَقَالَ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

فَالْقَضَاءُ لَا بَدَّ أَنْ يَنْفَذَ وَلَا بَدَّ أَنْ يَجْرِيَ، وَلَا فَائِدَةٌ فِي قُعُودِ الْإِنْسَانِ وَتَخْلُفِهِ عَنْ فِعْلِ الْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْأَسْبَابِ السَّيِّئَةِ، فَهَذَا يَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ الْقُوَّةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنْفِي عَنْهُ الشُّكُوكَ وَالْأَوْهَامَ وَالتَّشَاوُمَ الَّذِي يُصَابُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَنْفِي عَنْهُ الْوَسَاوِسَ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْإِيمَانِ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْ طَلَبِ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَمَا فِيهِ فَائِدَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَلَا يَقُولُونَ نَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الْقَتْلِ. إِذَا كَانَ الْمَوْتُ مُقَدَّرًا لَكَ سَيَأْتِيكَ وَلَوْ لَمْ تَذْهَبْ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُقَدَّرْ فَلَنْ يَأْتِيكَ وَلَوْ كُنْتَ فِي أَشَدِّ الْخَطَرِ.

**الفائدة الثالثة:** أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ لَا يَجْزَعُ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ هَذَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَهَذَا يُسَهِّلُ مُلَاقَاةَ الْمَصَائِبِ، فَلَا يَجْزَعُ الْإِنْسَانُ، وَلَا يَلْطِمُ الْخَدَّ، وَلَا يَشْقُ الْجَنْبَ، وَلَا يَدْعُو بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ لَا يَلُومُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَقُولُونَ: السَّبَبُ كَذَا وَكَذَا،

بَلْ يَرْضُونَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّ الْمُصِيبَةَ تَحْصُلُ عَلَى أَيِّ حَالٍ إِنْ قَدَّرَهَا اللَّهُ، فَاَلْمُقَدَّرُ يَحْصُلُ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. وكَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

فَهَذَا يُهَوِّنُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمَصَائِبَ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

فَهَذِهِ الثَّلَاثُ فَوَائِدُ مِنَ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

الْأُولَى: اسْتِكْمَالُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَبْعَثُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ فِي

سَبِيلِ الْخَيْرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يُهَوِّنُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمَصَائِبَ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ،

أَمَّا الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَإِنَّهُ يَجْزَعُ وَيَتَسَخَّطُ، وَيَحْصُلُ مِنْهُ مَا يَحْصُلُ.

وَالْآنَ نَسْمَعُ كَثِيرًا عَمَّا يُسَمَّى بـ «الانْتِحَارِ»، وَأَنَّهُ انْتَشَرَ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ الْأُخْرَى،

مَا سَبَبُهُ؟

الْجَوَابُ: سَبَبُهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، إِذَا تَضَايَقَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ نَحَرَ

نَفْسَهُ! وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، فَلَا يَقُولُ: هَذَا شَيْءٌ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ،

وَهَذَا شَيْءٌ مَكْتُوبٌ عَلَيَّ، وَالْفَرَجُ قَرِيبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَإِنَّ

مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فَالَّذِي يَتَحَرَّجُ وَيَقْتُلُ

نَفْسَهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَحَمَّلُ الشَّدَائِدَ وَالْمَصَائِبَ.

**سَادِسًا: الْأُمُورُ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى مَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ:**  
يَتَرْتَّبُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ أُمُورٌ خَطِيرَةٌ:

١ - يَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِ الْقَدَرِيَّةِ: إِثْبَاتُ خَالِقِينَ مَعَ اللَّهِ، وَهَذَا شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛  
وَلِهَذَا سُمُّوا «مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

٢ - وَيَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ: وَصْفُ اللَّهِ بِالظُّلْمِ، وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ الْعِبَادَ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَفْعَلُوهُ، بَلْ فَعَلَهُ هُوَ، فَاللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَفْعَلُوهُ! وَهُمْ يُحَرِّكُونَ بَغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، وَبَغَيْرِ إِرَادَتِهِمْ، فَهَذَا فِيهِ وَصْفُ اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا بِالظُّلْمِ؛ لِأَنَّهُ عَذَّبَ عِبَادَهُ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَفْعَلُوهُ، وَإِنَّمَا عَذَّبَهُمْ عَلَى فَعْلِهِ هُوَ!

وَلَا يَخْفَى فِسَادُ هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ، فَاللَّهُ جَلًّا وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وَرَبَطَ الْعَذَابَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَرَبَطَ الثَّوَابَ بِالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ، فَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفُهَا ﴿[النساء: ٤٠]، بَلْ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَمِنْ عَدْلِهِ أَنَّهُ لَا يُضَاعِفُ السَّيِّئَةَ، بَلْ يَجْزِي بِمِثْلِهَا فَحَسْبُ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ يُضَاعَفَ الْحَسَنَةُ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفُهَا﴾ [النساء: ٤٠]، فَالْمُضَاعَفَةُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى عَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، أَمَّا السَّيِّئَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِي بِهَا فَحَسْبُ وَلَا يُضَاعِفُهَا<sup>(١)</sup>، وَهَذَا مِنْ عَدْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٧) (١٣١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا وَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

لكنَّ الجبريَّةَ يَصِفُونَ اللهَ بِالظُّلْمِ؛ وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ الْعِبَادَ عَلَى أَفْعَالِهِ هُوَ، وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا، وَإِنَّمَا هُمْ مُحَرَّكُونَ كَالآلَةِ وَالرِّيشَةِ فِي الْهَوَاءِ! وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ...

٣- وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ:

تَعْطِيلُ الْأَسْبَابِ، وَأَنْ يُقَالَ: مَا دَامَ إِنَّهُ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ فَأَنَا أَجِلْسُ وَالْمُقَدَّرُ سَيَكُونُ. فَهَذَا مِنْ سَلَبَاتِ مَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ.

٤- وَيَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ -كَمَا سَبَقَ أَيْضًا-: الشَّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

٥- وَيَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مَحْظُورٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ: تَعْجِيزُ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَرِيدُ وَلَا يَشَاءُ! وَهَذَا وَصَفٌ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا بِالْعَجْزِ، وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ. فَكِلَا الْمَذْهَبَيْنِ بَاطِلٌ وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ مَحَاضِيرٌ كَبِيرَةٌ.

وَأَمَّا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَهُوَ الْوَسْطُ، وَهُوَ الْعَدْلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ دَائِمًا وَسْطٌ؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: هَذِهِ الْأُمَّةُ وَسْطٌ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسْطٌ بَيْنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ: فَهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ أَفْعَالَهُ وَإِرَادَتَهُ وَمَشِئَتَهُ وَقَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ، وَيُثْبِتُونَ لِلْعِبَادِ أَعْمَالَهُمْ وَمَشِئَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ، تَمَثُّيًا مَعَ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَنْفُونَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، وَلَا يَغْلُونَ فِي إِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَيَسْلِبُونَ الْعِبَادَ مَشِئَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ، كَمَا تَقُولُهُ الْجَبَرِيَّةُ.

وَهُنَا مَسْأَلَةٌ: وَهِيَ: هَلِ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ يُحَكَّمُ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ؟

الْجَوَابُ: الْعُلَمَاءُ فَصَّلُوا فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا:

١- مَنْ أَنْكَرَ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى، وَهِيَ: الْعِلْمُ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وُجُودِهَا، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهَا إِذَا وُجِدَتْ فَحَسَبُ. مَنْ قَالَ بِهَذَا كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ نَفَى عِلْمَ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

لكن يقولون: إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِبُني الْعِلْمِ انْقَرَضُوا. كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الواسطية»<sup>(١)</sup>.

٢- أَمَّا بَقِيَّةُ الْمُعْتَزَلَةِ فَيُثْبِتُونَ عِلْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الْأَزَلِيَّ، وَلَكِنْ يَنْفُونَ الْقَدَرَ، فَهُمْ أَهْلُ ضَلَالٍ، وَلَا يَصِلُونَ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا عِلْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَثْبَتُوا الْكِتَابَةَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّمَا نَفَوْا الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ، يَعْنِي: أَثْبَتُوا الْعِلْمَ وَالْكِتَابَةَ وَغَلَوْا فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَقَالُوا: إِنَّهَا تَقَعُ بِغَيْرِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَذَا مَوْجُودٌ وَمُسْتَمِرٌّ فِي الْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ أَخَذَ مَذْهَبَهُمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الضَّالَّةِ.

فَهَذِهِ نِقَاطٌ مُخْتَصِرَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ، وَلَكِنْ حَسْبُ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْمَبَادِئَ وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا، وَلَا يَتَوَغَّلَ فِي الْبَحْثِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَلَا يَفْتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ التَّسَاؤُلَاتِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ؛ لِأَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ سَرُّ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي خَلْقِهِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ مِنَ التَّسَاؤُلَاتِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَمَشَّى مَعَ مَدْلُولِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَتُثَبِّتَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ وَتَعْرِفَ أَدْلَتَهُ، وَتَعْرِفَ حُكْمَ مَنْ أَنْكَرَهُ.

وَبَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ، وَهِيَ: مَسْأَلَةُ: «الاحتجاج بِالْقَدَرِ».

وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا لَقِيَ أَبَا الْبَشَرِيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَامَهُ وَقَالَ لَهُ<sup>(٢)</sup>: «لَمْ أَخْرِجْتَنَا وَنَفْسُكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟»، فَقَالَ: «أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ، بِكُمْ وَجَدْتَ هَذَا

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص ١٦٤) بشرح المؤلف حفظه الله تعالى.

(٢) قصة محاجة آدم وموسى، رواها البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٠١٥)، ومسلم

(١٥-١٤) (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال ابن أبي العز: (إنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتجَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإنَّ القدر يُحتجُّ به عند المصائب لا عند المعاييب، وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث). اهـ.

انظر: «شرح الطحاوية» (ص ١٣٥-١٣٦).

مَكْتُوبًا عَلَيَّ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ»، فقال مُوسَى - ما معناه -: إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

فَالْجَبْرِ يُؤْخَذُ هَذَا، وَقَالُوا: هَذَا دَلِيلٌ لِلْجَبْرِ أَنَّ آدَمَ حَجَّ مُوسَى بِأَنَّ مَا حَصَلَ مِنْهُ لَيْسَ بِاخْتِيَارِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِعْلُ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا!

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا الْحَدِيثَ، فَمُوسَى لَمْ يَلْمِ آدَمَ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَإِنَّمَا لَامَهُ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ: «لَمْ أَخْرِجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ»، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ آدَمُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْإِحْتِجَاجُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّهُ يُسَهِّلُهَا عَلَى الْإِنْسَانِ، فَلَا يَجْزَعُ، وَلَا يَسْخَطُ، فَمُوسَى لَمْ يَسْأَلْهُ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، لَمْ يَقُلْ: لِمَ أَقَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ كَذَا؟ وَإِنَّمَا قَالَ: «لَمْ أَخْرِجْتَنَا؟» فَالسُّؤَالُ مَنْصَبٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي تَرَبَّثَتْ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْ آدَمَ مِنَ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ.

وَمُوسَى لَمْ يَلْمِهِ عَلَى الذَّنْبِ؛ لَمْ يَقُلْ لَهُ: لِمَ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ؟ لِأَنَّهُ تَابَ مِنْ ذَلِكَ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالتَّائِبُ لَا يُلَامُ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ، وَإِنَّمَا لَامَهُ عَلَى الْإِخْرَاجِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ أَصَابَتْ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ.

فَآدَمُ احْتَجَّ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْإِحْتِجَاجُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ مَشْرُوعٌ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»<sup>(١)</sup>.

= قال الشارح - حفظه الله -: (فموسى عليه السلام في الظاهر لأم آدم على المصيبة وهي الخروج من الجنة ولم يلّمه على المعصية، وهي الأكل من الشجرة، فاحتج عليه آدم عليه السلام بالقضاء والقدر فحجّه وغلبه؛ لأنه يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر على المصائب دون الذنوب والمعائب).  
(١) سبق تخرجه (ص ١٣٠).

فَيُحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصِيبَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا اخْتِيَارٌ، وَإِنَّمَا هِيَ فِعْلُ اللَّهِ.  
أَمَّا الْمَعْصِيَةُ فَإِنَّهَا فِعْلُكَ أَنْتَ فَلَا تَحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.  
ولهذا قَالَ الْعُلَمَاءُ: «يُحْتَجُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى الْمَعَائِبِ»<sup>(١)</sup>. وهذا هُوَ الْفَصْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ): مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.  
(أَيُّقِنُ): أَيُّ: آمِنَ بِهِ وَاعْتَقَدَ.

(فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ): دِعَامَةٌ، يَعْنِي: رُكْنٌ، وَالْإِيْمَانُ بِهِ هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ  
الْإِيْمَانِ.

قَوْلُهُ: (عَقْدُ الدِّينِ)؛ لِأَنَّ الدِّينَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

١ - مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ، بِأَرْكَانِهِ الْخَمْسَةِ.

٢ - وَمَرْتَبَةُ الْإِيْمَانِ، بِأَرْكَانِهِ السِّتَةِ.

٣ - وَمَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ رُكْنٌ وَاحِدٌ.

قَوْلُهُ: (وَالدِّينُ أَفِيحٌ): الْأَفِيحُ: الْمَكَانُ الْوَاسِعُ، فَالدِّينُ وَاسِعٌ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -  
وَشَامِلٌ.



## [الإيمان باليوم الآخر]

٢٩ وَلَا تَنْكُرُنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

## ————— ❦ —❦————— الشَّرْحُ —❦ —❦—————

هذا البيت وما بعده في الإيمان باليوم الآخر، وهو: اليوم الذي يكون بعد الدنيا، وهو يوم الجزاء والحساب، ويوم الدين.

والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة، التي جاءت في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة مجيء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه، يسأله عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان، وعن الساعة، فأجابه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان بقوله: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، وورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر: خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

وهذه الأركان الستة تارة تأتي جميعًا في القرآن، وتارة يأتي بعضها.

وكثيرًا ما يأتي الإيمان بالله واليوم الآخر مقترنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٤٤]. وتارة تأتي أركان الإيمان في القرآن مجتمعة، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَالْإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ، مَنْ أَنْكَرَهُ كَفَرَ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يُوجَدُ بَعْثٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَحَسْبُ! فَهَذَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

فَلَا شَكَّ فِي كُفْرٍ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]: فَاللَّهُ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقَسِّمَ بَرَبَهُ أَنَّهُ سَيُبْعَثُهُ.

وقوله: ﴿زَعَمَ﴾: الزَّعَمُ هُوَ الْكَذِبُ، يَعْنِي كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ هَذَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الحاثية: ٢٤].

وَقَالَ: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ هَيَّاتَ

هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾

[المؤمنون: ٣٥-٣٧].

هَكَذَا مَقَالُهُ الْكُفَّارِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَلَيْسَ لَهُمْ حُجَّةٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: كَيْفَ يُبْعَثُ النَّاسُ إِذَا مَاتُوا وَصَارُوا تُرَابًا؟! فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ!

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! هُمْ مِنْ قَبْلِ كَانُوا غَيْرَ مَوْجُودِينَ أَصْلًا، ثُمَّ خَلَقَهُمُ اللَّهُ جَدًّا، فَالَّذِي خَلَقَهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ قَادِرٌ مِنْ بَابِ أَوَّلَى عَلَى إِعَادَتِهِمْ. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]،

فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّدِّ عَلَى مَنْكَرِي الْبَعْثِ.

وأيضاً: لو لم يُوجد بعثٌ وجزاءٌ على الأعمالِ لكانَ خَلْقُ الخَلْقِ عبثاً، كيفَ يَخْلُقُهُمْ وَيَعْمَلُونَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ أَوْ الأَعْمَالَ الكُفْرِيَّةَ ثُمَّ يَمُوتُونَ وَيُتْرَكُونَ؟! هَذَا لَا يَلِيقُ بِعَدْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ١١٥ ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَا بَدَّ أَنْ يَبْعَثَ النَّاسَ، وَيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَيُجَازِيَ الْمُؤْمِنَ بِإِيمَانِهِ، وَيُجَازِيَ الْكَافِرَ بِكُفْرِهِ، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٢٧ ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨]: كُلُّهُمْ يَمُوتُونَ وَلَا يُبْعَثُونَ وَلَا يُجَازُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟! حَاشَا وَكَلَّا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ هَدَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْعَصَاةَ بِأَتَمِّ سَيْرِ جَعُونِ إِلَى رَبِّهِمْ وَيُحَاسِبُونَ وَيُجَازُونَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ لَا بَدَّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ، وَالدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ. هَذِهِ حِكْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: مِنْ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمِهِ، وَمِنْ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْبَعْثِ لِلْحَشْرِ وَالْوُقُوفِ فِي الْمَحْشَرِ، وَمَا يَجْرِي بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَدَلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، بَلْ هُوَ الْإِيمَانُ: فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ؛ لِأَنَّا لَمْ نَرِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

والإيمانُ بِالْجَنِّ وَالشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.  
والإيمانُ بِمَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْإِيمَانِ  
بِالْغَيْبِ.

والإيمانُ بِمَا وَقَعَ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لَمْ نَرَهُ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.  
فَالْغُيُوبُ إِمَّا مَاضِيَةٌ وَإِمَّا مُسْتَقْبَلَةٌ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي  
أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِالْغَيْبِ ﴿البقرة: ١-٣﴾، بَدَأَ بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَإِنْكَارُ الْبَعْثِ يُلْزِمُ مِنْهُ إِنْكَارُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ  
جَلَّ وَعَلَا وَإِنْكَارُ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْكَارُ كُلِّ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْمُشَاهَدَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذَا قَوْلُ  
الدَّهْرِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ وَالْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْغَيْبِ.

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْمُلُ كُلَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا  
وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُويَّ عَلَيْهِ التُّرَابُ وَانصَرَفَ عَنْهُ النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ،  
يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فْتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ  
نَبِيُّكَ؟ (١).

ثَلَاثَةُ أَسْئَلَةٍ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا بِجَوَابٍ صَحِيحٍ نَجَا وَفَازَ وَأَفْلَحَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ  
الْجَوَابَ خَابَ وَخَسِرَ، وَضَلَّ سَعْيُهُ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَنْكُرُنْ جَهْلًا): يَعْنِي: الشَّيْءُ الَّذِي تَجْهَلُهُ لَا تُنْكِرُهُ،  
فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ تَجْهَلُهُ تُنْكِرُهُ، بَلْ تُؤْمِنُ بِهَا صَحَّحَ وَبِمَا ثَبَتَ وَإِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ وَلَمْ تُدْرِكْهُ،  
قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابَ الَّذِينَ مِنَ

(١) حديث: سؤال الملكين، رواه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٧٠) (٢٨٧٠) من حديث  
أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَ(٧٣) (٢٨٧١) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَبْلِهِمْ ﴿[يونس: ٣٩]، فالواجب أن تؤمن بما صَحَّ عن الله وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن لم تعرفه وتَتَصَوَّرْهُ، فَإِنَّ هَذَا لَهُ مُسْتَقْبَلٌ يَقَعُ فِيهِ ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، فالأنباء والأخبارُ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَقْتُ، إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ ظَهَرَ، فَوَاجِبُنَا الْإِيمَانُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي: ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكَلَامُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، فَلَا نَعْتَمِدُ عَلَى عُقُولِنَا، وَإِنَّمَا نَعْتَمِدُ فِي أُمُورِ الْغَيْبِ عَلَى الْوَحْيِ الْمُنْزَلِ، وَلَا نَتَدَخَّلُ بِعُقُولِنَا وَأَفْكَارِنَا. وَأُمُورُ الْبَرَزَخِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَلَوْ كَشَفْنَا عَنْ الْعَبْدِ بَعْدَ وَضْعِهِ فِي قَبْرِهِ لَوَجَدْنَاهُ كَمَا وَضَعْنَاهُ، وَلَكِنْ هُوَ فِي حُكْمِ عَالَمٍ آخَرَ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ لَا نَرَاهُ، وَلَا نَحِسُّ بِهِ؛ لِأَنَّهُ فِي عَالَمٍ آخَرَ، مُغَيَّبٌ عَنَّا.

قَوْلُهُ: (نَكِيرًا وَمُنْكَرًا): اسْمَانِ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَأْتِيَانِ لِلْمِيَّتِ فَوَرَ دَفْنِهِ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيُجْلِسَانِهِ حَيًّا، حَيَاةَ بَرَزَخِيَّةٍ لَيْسَتْ مِثْلَ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَيَاةُ الْآخِرَةِ؛ حَيَاةٌ أُخْرَوِيَّةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَتَسْمِيَّتُهُمَا بِالْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ<sup>(١)</sup>، فَهِيَ تَسْمِيَّةٌ ثَابِتَةٌ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا هَذَيْنِ الْمَلَائِكَةِ مُفْرَعَةٌ يَسْتَنْكِرُهَا الْإِنْسَانُ وَيَفْزَعُ مِنْهَا، فَهِيَ يَأْتِيَانِ بِصُورَةٍ لَا يَعْرِفُهَا فِي حَيَاتِهِ، وَلَا يَأْلُفُهَا، فَهَذَا وَجْهُ تَسْمِيَّتِهِمَا مُنْكَرًا وَنَكِيرًا، وَفِي هَذَا رَدُّ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ وَيَقُولُ: هَذَا سَبُّ لِلْمَلَائِكَةِ.

(١) ورد في تسمية الملائكة الذين يسألان الإنسان في قبره بهذين الاسمين عدة أحاديث مرفوعة وموقوفة عن عدد من الصحابة، منهم: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (١٠٧١) وقال: حسن غريب، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤/٥)، وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار (٩٧/٧)، والبراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٨/١)، والطبراني في «تهذيب الآثار» (٥٠٠/٢)، وعن أبي الدرداء موقوفًا عليه عند ابن أبي شيبة (٥٣/٣).

نقول: هذا ليس سبًّا للملائكة، بل هذا من باب أن الذي يأتِيَانِه يَسْتَنكِرُهُمَا، فَسُمِّيَا بِالْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ.

قوله: (إِنَّكَ تُنْصَحُ): يعني: أنا أَنْصَحُكَ أَلَّا تُنْكَرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَالَّذِينَ النَّصِيحَةُ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

فَالنَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: أَنَا أَنْصَحُكَ أَلَّا تُنْكَرَ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ كَمَا أَنْكَرَهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَأَهْلُ الضَّلَالِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عُقُولِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، فَلْتَحْذَرِ مِنْ طَرِيقَتِهِمْ وَاتَّبِعِ النُّصُوصَ، وَأَمِنْ بِهَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ، وَهَذَا مِنَ الْإِيَانِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأُمُورُ الْغَيْبِ الَّتِي تَحْدُثُ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ وَيَجِبُ الْإِيَانُ بِهَا، هِيَ:

**أَوَّلًا: مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ، مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِلَى الْمَيِّتِ،**

**فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ جَاءَ إِلَيْهِ فِي قَبْرِهِ وَنَحْنُ لَا نَرَاهُمْ؟**

**الْجَوَابُ:** اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنْتَ فَقَدْ غُيِّبْتَ عَنْكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ، فَالْمَلَائِكَةُ يَأْتِيَانِه وَأَنْتَ لَا تَرَاهُمَا، وَهَلْ أَنْتَ تَرَى رُوحَكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي جَسَدِكَ؟ هَلْ تَرَى كُلَّ شَيْءٍ؟ تَوْجَدُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا تَرَاهَا، هَلْ تَرَى الْعَقْلَ الَّذِي يُمَيِّزُكَ عَلَى غَيْرِكَ؟ مَا كُلُّ شَيْءٍ لَا تَرَاهُ لَيْسَ صَحِيحًا، هَذَا كَلَامُ الْمَادِّينَ الطَّبَائِعِيِّينَ، أَمَّا أَهْلُ الْإِيَانِ فَإِنَّهُمْ يَتَسَعَّ إِيمَانُهُمْ لِكُلِّ مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَلَا يَتَدَخَّلُونَ فِيهِ بِعُقُولِهِمْ.

فَالْمَلَائِكَةُ يَأْتِيَانِه وَيُجْلِسَانِه وَيَسْتَنْطِقَانِه: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فينادي منادٍ: «أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَوَسَّعُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ» فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيِّهَا، وَيَرَى مَنَزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ، فيقول: «يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»<sup>(١)</sup>، فيصيرُ قَبْرُهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَاهِدُ هَذَا، وَقَدْ يُشَاهِدُهُ بَعْضُ مَنْ يُطْلِعُهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ بِإِلْزَامٍ.

- وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْمُرْتَابُ - الَّذِي عَاشَ عَلَى الشَّكِّ فِي الدُّنْيَا - فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الشَّكِّ، فَإِذَا سَأَلَاهُ وَقَالَا: «مَنْ رَبُّكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي، «مَا دِينُكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، «مَنْ نَبِيُّكَ؟» قَالَ: لَا أَدْرِي.

لأنَّه فِي الدُّنْيَا لَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ، «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»، قَالَاهُ مِنْ بَابِ الْمَجَارَاةِ لَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمُنَافِقُ الَّذِي يَقُولُ مَا يَقُولُهُ الْمُصَلُّونَ، وَيُصَلِّي وَيَصُومُ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ، إِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا مِنْ بَابِ الْمُدَارَاةِ وَمِنْ بَابِ التَّقِيَّةِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَعِيشَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَحَسَبُ وَهُوَ لَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ.

وَلَوْ كَانَ فَصِيحًا مُتَعَلِّمًا، يَحْفَظُ الْمَتُونَ وَالْأَسَانِيدَ، فَإِنَّهُ فِي الْقَبْرِ يَتَلَعَثُ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَيَغِيبُ عَنْهُ الْجَوَابُ وَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، وَلَكِنْ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفَ هَذَا الشَّيْءَ وَأَعْتَقَدُهُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: «أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ»، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَيُصْبِحُ قَبْرُهُ حُفْرَةً مِنْ حَفْرِ النَّارِ،

(١) رواه أبو داود في «السنن» (٤٧٥٣)، وأحمد في «المسند» (٢٨٧/٤)، والطيالسي (١/١٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/٣٥٨) من حديث البراء بن عازب الطويل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وانظر: كتاب «إثبات عذاب القبر» للبيهقي.

فيقول: «يَا رَبَّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»؛ لأنه يعلم أنه إذا قامت الساعة فما بعدها أشدُّ مما هو فيه، والعياذ بالله.

وهذا يُشيرُ إليه قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، كما أنهم عاشوا على القول الثابت في الدنيا، والإيمان الصادق فإن الله يُثَبِّتُهُمْ فِي الْقَبْرِ وَعِنْدَ السُّؤَالِ، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: فلا يستطيعون الإجابة.

والأحاديث في هذا متواترة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، وأهل السنة والجماعة مجمعون عليه، ولم يُنكره إلا المعتزلة الذين يعتمدون على عقولهم، وكذا العقلانيون الآن الذين هم أفراخ المعتزلة هم على هذا المذهب.

### ثانياً: الحوض؛

قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا الْحَوْضَ): الحوض: هو حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه تواترت الأحاديث<sup>(٢)</sup>، أن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضاً «طوله شهر، وعرضه شهر، مآؤه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، كيزانه عددُ نجوم السماء»<sup>(٣)</sup>، ترد عليه أمته، ويشربون منه، ويُذاد عنه كلُّ مبتدع، وكلُّ مرتد، فالمرتدُّ يُذاد عنه،

(١) قال ابن أبي العز: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به).

انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٥٠)، ط. المكتب الإسلامي.

(٢) انظر: طرقها ومن رواها من الصحابة في «فتح الباري»، وقال الحافظ ابن حجر: (فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً وزاد عليها النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكره سواء، فزادت العدة على الخمسين، ثم قال: وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها على رواية ثمانين صحابياً).

انظر: «الفتح» (١١/ ٤٧٧)، ط. الريان.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧) (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا يَرِدُ على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا سأل عنهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لماذا رُدُّوا؟ يُقال له: «لَأَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَغْقَابِهِمْ»<sup>(١)</sup>، وفي الصنف الثاني يُقال: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَاذَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»<sup>(٢)</sup>.

فكُلُّ مَنْ أَحَدَثَ بدعةً في الدِّينِ؛ كالمُعْتَزِلَةِ والْحَوَارجِ والشَّيعَةِ وسَائِرِ الطَّوائِفِ الضَّالَّةِ الَّذِينَ أَحَدْتُوا فِي الدِّينِ ما ليسَ مِنْهُ حَرِيُونَ أَنْ يُذَادُوا عنِ الحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيُذَادُ عَنْهُ كُلُّ مُبْتَدِعٍ وكلُّ مُرْتَدٍ عنِ دينِهِ، ولا يَرِدُهُ إِلَّا أَهْلُ الْإِيْمَانِ، الثَّابِتُونَ عَلَى الْإِيْمَانِ الصَّادِقِ فِي الدُّنْيَا ومَاتُوا عَلَيْهِ، هَؤُلَاءِ يَرِدُونَ الحَوْضَ، وَيَشْرَبُونَ مِنْهُ شَرْبَةً، لَا يَظْمَؤُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا. هذا هو حَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالذي تَمَسَّكَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ فِي الدُّنْيَا، وَعَمَلَ بِهَا يَرِدُ عَلَى حَوْضِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ، والذي أَعْرَضَ عَنِ السُّنَّةِ وَابْتَدَعَ الْبِدْعَةَ أَوْ ارْتَدَّ عَنِ دِينِهِ فَإِنَّهُ يُصْرَفُ وَيُطْرَدُ عَنِ الحَوْضِ، وهو أَشَدُّ ما يَكُونُ حَاجَةً إِلَى المَاءِ.

### ثالثاً: الميزان؛

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وَالْمِيزَانُ): وهو ميزانٌ حَقِيقِيٌّ، له كِفَتَانِ<sup>(٣)</sup>، تَوَضَّعَ الْحَسَنَاتُ فِي كِفَةٍ، وَالسَّيِّئَاتُ فِي كِفَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٧) (٢٢٩٣) من حديث أساء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٨) (٢٢٩٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ورواه مسلم أيضاً

(٢٩) (٢٢٩٥) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، و(٣٢) (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص ٤٧٥): (ثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف

الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات).

وقد ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي رواه ابن

حبان في «صحيحه» (١٤/ ١٠٢) (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرک» (١/ ٢٢٨) وصححه، وفيه:

«يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة،

مالت بهن لا إله إلا الله». وروى أحمد (٢/ ١٦٩-١٧٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو =

الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿[القارة: ٦-٩]﴾، يعني: موازين أعماله، فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة، فأثمها رَجَحَ فإنه يأخذ جزاءه، بموجب ذلك من رُجِحَتِ الحَسَنَاتُ أو رُجِحَتِ السَّيِّئَاتِ، وهذا من عدلِ الله أنه لا يَظْلَمُ أحداً، بل يُجَازِي الإنسانَ بعمله.

وهو ميزانٌ حقيقيٌّ.

والمعتزلة يقولون: إنه ميزانٌ غيرٌ حقيقيٌّ، وإنما معناه إقامة العدل، فهو ميزانٌ معنويٌّ، معناه العدل بين العباد!

وليس لهم دليلٌ إلا عقولهم، فهم يُنكرونه؛ لأنهم لم يروا الميزانَ، وهم لا يؤمنون بالغيب، وهذه آفةُ الاعتماد على العقول؛ لأن المؤمن لا يعتمدُ على عقله، والعقل دليلٌ؛ ولكن لا يكونُ هو كلُّ شيءٍ، هناك أشياء لا يُدركها العقلُ، فالأمورُ المغيبة لا يُدركها العقلُ، فلا تُحكَّمُ عقلك فيها، وإنما يعتمد فيها على الدليل فحسب، فهذا وجهُ إنكارهم له، وعلى مذهبهم الباطل أن الذي لا يُشاهدونه ولا يرونه أنهم ينكرونه، أو يؤولونه بغير معناه.

وهم لا يُنكرون لفظَ الميزان؛ لأنه ورد في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ

= ابن العاص رضي الله عنه، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرک» (٦/١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَاقِبَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨-٩]، وقوله تعالى:  
﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ  
مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦-٩]، فلا ينكرون لفظ الموازين، ولكن  
يُفسِّرونها ويُحرِّفونها عن معناها؛ كما هو حالهم مع سائر النصوص، يُحرِّفونها عن  
معناها الصحيح، أما أهل الحق فإنهم يؤمنون بها على حقيقتها، ويَكِلُونُ كَيْفِيَّتَهَا  
إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.



## [خُرُوجُ الْمُوحِّدِينَ مِنَ النَّارِ]

٣٠ وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنْ النَّارِ أَجْسَادًا مِنْ الْفَحْمِ تُطْرَحُ

٣١ عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

## ————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

هذه مسألة العصاة من الموحدين الذين عندهم كِبائرٌ ولكنها دون الشرك، فهؤلاء يُعتبرون مؤمنين موحدين، ولكن إيمانهم وتوحيدهم ناقص، فإنهم لا يخرجون من الإسلام، خلافاً للخوارج والمعتزلة، فهم تحت المشيئة: إن شاء الله غفر لهم ولم يُعذبهم، ودخلوا الجنة من أول وهلة، وإن شاء الله عذبهم. ولكنهم لا يُخلَّدون في النار كما يُخلَّد الكفار والمشركون، وإنما يُخرجون من النار بعد تعذيبهم: إما بشفاعَةِ الشافعين، وإما بفضلِ الله عَزَّجَلَّ، وإما بانتهاءِ عذابهم. فيُخرجون من النار قطعاً.

فالنار يدخلها الكافر والمشرك، وقد يدخلها المؤمن الموحّد بذنوبه، ولكن الكافر والمشرك يُخلَّدان في النار، أما الموحّد والمؤمن فلا يُخلَّد فيها إذا دخلها. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة.

- الخوارج يقولون: مُرتكبُ الكبيرة كافرٌ خارجٌ مِنَ المِلَّةِ، وإذا مات ولم يتب فهو خالدٌ مُخلَّدٌ في النارِ مثل الكفارِ.

- والمعتزلة يقولون: يُخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين، فإن مات ولم يتب فهو مُخلَّد في النارِ.

وَكِلَا الْمَذْهَبَيْنِ بَاطِلٌ وَضَالٌّ وَمُخَالَفٌ لِلأَدَلَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «... انْطَلِقْ: فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيْمَانِ»<sup>(٢)</sup>، وَيُخْرَجُ وَقَدْ احْتَرَقَ وَصَارَ فَحْمًا، فَيُوضَعُ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبَتُ جَسَدُهُ كَمَا يَنْبَتُ الْعُشْبُ، ثُمَّ يُدْخَلُ الْجَنَّةَ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مِنْ الْفَحْمِ): تَتَفَحَّمُ أَجْسَادُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَيُعِيدُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا تِلْكَ الْأَجْسَادَ وَيُعِيدُ فِيهَا الْحَيَاةَ، ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ.

قَوْلُهُ: (عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ): الْفِرْدَوْسُ هُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَوَسَطُ الْجَنَّةِ، وَيَجْرِي مِنْهُ هَذَا النَّهْرُ.

قَوْلُهُ: (كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذَا جَاءَ يَطْفَحُ): كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أَدْنَى بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ، فَبُتُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»<sup>(٣)</sup>، (ضَبَائِرُ): يَعْنِي: جَمَاعَاتُ مُحْتَرِقِينَ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يُسَمَّى نَهْرَ الْحَيَاةِ، فَيَحْيَوْنَ كَمَا يَحْيَا الْحَبُّ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ، فَالسَّيْلُ إِذَا جَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ يَحْمِلُ مَعَهُ الْبَذُورَ، فَيَطْرَحُهَا فِي الْأَرْضِ فَتَنْبُتُ، كَذَلِكَ يُطْرَحُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ فَتَنْبُتُ أَجْسَادُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

قَوْلُهُ: (كَحَبِّ حَمِيلِ): يَعْنِي: الْحَبُّ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ.

(يَطْفَحُ): عَلَيْهِ ثُمَّ يَسْتَقَرُّ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْبَتُ وَيُصْبِحُ شَجَرًا حَيًّا.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٥١٠)، وَمُسْلِمٌ (١٩٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٨) (٤٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٠٦) (١٨٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## [شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٣٢ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِلِخَلْقِ شَافِعٍ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

ذَكَرَ النَّاطِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْآيَاتِ السَّابِقَةِ عِدَّةَ مَسَائِلَ:  
الْأُولَى: سُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ.

الثَّانِيَّةُ: عَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ.

الثَّالِثَةُ: وَزْنُ الْأَعْمَالِ.

الرَّابِعَةُ: حَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْخَامِسَةُ: مَسْأَلَةُ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَالسَّادِسَةُ: مَسْأَلَةُ الشَّفَاعَةِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

وَالشَّفَاعَةُ مَعْنَاهَا: الْوَسَاطَةُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ عِنْدَ مَنْ هِيَ عِنْدَهُ، وَالشَّفَاعَةُ تَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ، وَتَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ، وَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَخْتَلِفُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ النَّاسِ، فَالنَّاسُ تَشْفَعُ عِنْدَهُمْ وَلَوْ لَمْ يَأْذُنُوا لَكَ، وَأَمَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَلَا أَحَدَ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَيَأْذُنُ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، أَيْ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا شَفَاعَةَ فِيهِ، وَلَا تُقْبَلُ فِيهِ شَفَاعَةٌ، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، فَالْكَافِرُ لَا تُقْبَلُ فِيهِ شَفَاعَةٌ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةُ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وَلَوْ بَذَلَ الْكَافِرُ أَمْوَالِ الدُّنْيَا يُرِيدُ الْفِدْيَةَ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ، ﴿إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ  
 أَفْتَدَى بِهِ ﴿[آل عمران: ٩١]﴾، لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عَدْلٌ، وَهُوَ الْمَالُ الَّذِي يَفْتَدُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ،  
 وَلَا يُقْبَلُ فِيهِمْ شَفَاعَةٌ أَحَدٍ، بَلْ هُمْ قَطْعًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ خَالِدُونَ مُخْلَدُونَ فِيهَا.  
 فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِشَرَطَيْنِ:

الأول: إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

الثاني: أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ عُصَاةِ الْمُوحِّدِينَ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَتَشْفَعُ عِنْدَهُ وَلَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَكَ بِالشَّفَاعَةِ، وَلَوْ لَمْ يَرْضَ عَنِ الْمَشْفُوعِ  
 فِيهِ، قَدْ يُبْغِضُ الْمَشْفُوعَ فِيهِ وَيُودُّ أَنْ يَقْتُلَهُ، أَوْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ، وَلَا يَرْضَى عَنْهُ، وَلَكِنْ  
 يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ فِيهِ مُضْطَرًا؛ لِحَاجَتِهِ لِلنَّاسِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ، فَلَوْ رَدَّ شَفَاعَتَهُمْ  
 لَتَنَكَّرُوا عَلَيْهِ، فَهُوَ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَأْذَنْ، وَلَوْ كَانَ لَا يَرْضَى  
 عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ.

أَمَّا اللَّهُ جَلَّ وَجَلَّ فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يُشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا فِي عُصَاةِ أَهْلِ  
 التَّوْحِيدِ. هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّفَاعَتَيْنِ.

فَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ حَقٌّ بِهِذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ  
 الْمَنْفِيَّةُ فَهِيَ الشَّفَاعَةُ فِي الْكُفَّارِ، أَوْ الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ بَغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ.

فَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ - كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ -: شَفَاعَةُ مُثَبَّتَةٌ، وَشَفَاعَةُ مَنْفِيَّةٌ<sup>(١)</sup>. قَالَ

تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدر: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاسِمٍ  
 وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «التَّوْحِيدِ» (ص ٢٨٣) مَعَ «فَتْحِ الْمَجِيدِ»،  
 ط. قرطبة، وَمَسَائِلُ كِتَابِ «التَّوْحِيدِ» لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ (ص ٢٨٨) مَعَ «فَتْحِ  
 الْمَجِيدِ»، ط. دار قرطبة، الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثَةُ.

قد يأتيك مَنْ يَقُولُ: الشَّفَاعَةُ لَا تُقْبَلُ بِدَلِيلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

فتقول: هناك آياتٌ تدلُّ على قَبُولِ الشَّفَاعَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى قَبُولِ الشَّفَاعَةِ بِالْشَّرْطَيْنِ: أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِهَا، وَأَنْ يَرْضَى عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ.

فليست كُلُّ الشَّفَاعَةِ مُثَبَّتَةً، وليست كُلُّهَا مَنْفِيَّةً، لا بدَّ من التَّفْصِيلِ عَلَى حَسَبِ مَا جَاءَ فِي الْأَدِلَّةِ.

والقرآن لا يُضْرَبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْآيَاتِ وَيُوفَّقُ بَيْنَهَا، وَيُفَسَّرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَيُقَيَّدُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. هذه طريقة الراسخين في العلم.

فلا يُؤْخَذُ طَرْفٌ، وَيُقَالُ: الشَّفَاعَةُ ثَابِتَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ. كما يقولُ الْقُبُورِيُّونَ وَالْمَشْرُكُونَ مِنْ قَبْلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، يَطْلُبُونَ الشَّفَاعَةَ وَهُمْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ! هذه شفاعَةٌ باطلةٌ مَنْفِيَّةٌ.

وهناك مَنْ يُنْكِرُ الشَّفَاعَةَ مُطْلَقًا كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ.

أما أَهْلُ السُّنَّةِ فَهُمْ وَسَطٌ فِي هَذَا الْبَابِ، فَقَالُوا: الشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ:

١ - شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ.

٢ - شَفَاعَةٌ مُثَبَّتَةٌ.

فنحنُ لَا نُنْكِرُ الشَّفَاعَةَ مُطْلَقًا، وَلَا نُثَبِّتُهَا مُطْلَقًا، بَلْ لَا بَدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ؛ جَمْعًا بَيْنَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ. هذا هو الفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه طريقة الراسخين في العلم.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ): الشفاعة المثبته أنواعٌ: منها ما هو خاصٌّ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها ما هو مُشْتَرَكٌ بينه وبين غيره من الملائكة، والأولياء والصالحين، والأفراط.

**فأما الخاصُّ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو عدة شفاعات:**

**الشفاعة الأولى:** الشفاعة العظمى، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْفَعُ في الخلق يومَ القيامة الشفاعة العظمى، حينما يطولُ الموقفُ والحشرُ على الناسِ، وهم وقوفٌ على أقدامهم، شاخصةُ أبصارهم، حُفَاةُ عِزَّةٍ، تدنو منهم الشمسُ، ويأخذُ منهم العرقُ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، فيَتَقَدَّمُونَ يطلبون مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ عندَ الله أَنْ يُرِيحَهُمْ مِنَ الموقِفِ<sup>(١)</sup>، فيأتونَ إلى آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يأتونَ إلى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يأتونَ إلى إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يأتونَ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يأتونَ إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكلُّهم يعتذرون، ويقولون: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ»، فيعتذرون عن الشفاعة عندَ الله في هذا الموقف، حتَّى يأتوا إلى محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «أَنَا لَهَا»، ويتقدَّم إلى ربِّه - سبحانه - ويسجدُ بين يديه، ويحمده بمحامد، ويدعوهُ ويتضرَّعُ إليه، حتَّى يُقالَ له: «يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَسَلِّ تَعَطُّهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ»، فيشفعُ في أهلِ الموقفِ، فيقبلُ الله شفاعته.

فالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشفعْ إلَّا بعدَ الاستِئْذانِ، وهو سيِّدُ الخلقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشفعُ هذه الشفاعة العظمى، وهي المقامُ المحمودُ، الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَمَنْ

(١) حديث الشفاعة الطويل:

رواه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٢) (١٩٣) و(٣٢٦) (١٩٢) بلفظ أتم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الَّيْلِ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون<sup>(١)</sup>.

**الشفاعة الثانية:** شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة؛ لأنهم إذا جاءوا إلى الجنة لا يفتح لهم على الفور، فيستشفعون بمحمد صلى الله عليه وسلم في فتح باب الجنة<sup>(٢)</sup>، فيشفع لهم فتفتح، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] لم يقل: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا كَمَا فِي النَّارِ، بل قال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فالجاء شيء، وفتح الأبواب شيء آخر، وذلك بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

**الشفاعة الثالثة:** أنه يشفع صلى الله عليه وسلم لأناس من أهل الجنة في رفعة منازلهم في الجنة.

**الشفاعة الرابعة:** شفاعته في عمه أبي طالب، مع أن الشفاعة لا تنفع الكفار، والله جل وعلا قال في الكفار: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وأبو طالب مات على الكفر، ولكن نظراً؛ لأن أبا طالب حمى النبي صلى الله عليه وسلم ودافع عنه، وصبر معه على الضيق، وأحسن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يوفق

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» اهـ. وزاد في رواية (١٤٧٥): «فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم».

وانظر: تفسير ابن كثير آية الإسراء ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] (٥٥/٩)، ط. قرطبة.

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٣) (١٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتَىٰ بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أُفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

للدخول في الإسلام، وعَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلامَ وحرص على أن يدخل في الإسلام، ولكنه أبى؛ لأنه كان يرى أن دخوله في الإسلام فيه مَسَبَّةٌ لدين آبائه؛ حيث أخذته الحمية الجاهلية لدين آبائه، وإلا فهو يعترف أن محمداً على الحق، وأن دينه هو الحق، ولكن منعه الحمية والأثرة؛ لأنه لو أسلم -بزعمه- لصار ذلك سُبَّةً على قومه.

وهو القائل:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ دِينَ مُحَمَّدٍ      مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا  
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ      لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينَا<sup>(١)</sup>

فَقَدْ مَنَعَتْهُ الْمَلَامَةُ وَحَذَرُ الْمَسَبَّةِ عَلَى قَوْمِهِ، وَلَقَدْ جَاءَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ، وَقَالَ لَهُ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَكَانَ عِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعَادَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَقَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ»<sup>(٢)</sup>، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وَنَزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٤٢)، و«سمط النجوم العوالي» (١/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٣٩) (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالنبي ﷺ لا يشفعُ في إخراجِه من النَّار؛ لأنَّه مُخلَّد في النَّار كغيره من الكُفَّار، ولكنَّ يشفعُ في أن يُخَفَّفَ عنه العذابُ فحسب، ويُجْعَلُ في ضَحْضَاح من نار، وفي أخَصِّ قديمِه جمرتانِ يَغلي منهما دِماغُه، فلا يرى أن أحداً أشدُّ منه عذاباً<sup>(١)</sup>، مع أنه أخفُّ أهل النار عذاباً.

فهذه الشِّفاعاتُ خاصَّةٌ بالنبي ﷺ.

أما الشِّفاعَةُ في أهل الكبائر في أن يخرُجوا من النار، أو أن لا يدخلوها، فهذه شِفاعَةُ عامَّةٌ تكونُ للملائكة، وتكونُ للأنبياء؛ وتكونُ لنا محمد ﷺ، وتكونُ للأولياء يشفعون لإخوانهم، وتكونُ للأفراط يشفعون لأبائهم، فهي شِفاعَةُ عامَّةٌ له ولغيره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هذا ملخَّص ما يُقال في الشِّفاعَةِ.

قولُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُّوَضَّحٌ): هذا سبق بيانه في مسألة عذاب القبر.



(١) البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٣٦٠) (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: «أَلَعَلَّه تَنْفَعُهُ شِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغلي مِنْهُ دِماغُهُ».

## [التَّكْفِيرُ بِالْمَعْصِيَةِ]

٣٣ وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمْ يَغْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ❦ —————

هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَكْفِيرِ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشَّرْكَ، وَقَدْ حَصَلَ فِيهَا اخْتِلَافٌ طَوِيلٌ مَا بَيْنَ الْخَوَارِجِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَمَا بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَمَا بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَالْخَوَارِجُ يُكْفِرُونَ بِالْكِبَائِرِ الَّتِي دُونَ الشَّرْكَ، وَيُخْلِدُونَ أَصْحَابَهَا فِي النَّارِ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْوَعِيدِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَيَحْمِلُونَهَا عَلَى كُفْرِ أَصْحَابِ تِلْكَ الْمَعَاصِي.

وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا مُؤْمِنٍ، بَلْ هُوَ فِي الْمَنْزَلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

وَالْمُرْجِئَةُ عَلَى النَّقِيضِ، فَالْكِبَائِرُ عِنْدَهُمْ لَا تَضُرُّ الْإِيمَانَ وَلَا تَنْقُصُهُ، فَالْعَاصِي صَاحِبُ الْكِبِيرَةِ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ!

هَذَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ، عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُدْخِلُونَ الْأَعْمَالَ فِي الْإِيمَانِ، فَمَنْ تَرَكَ وَاجِبًا، أَوْ فَعَلَ مُحَرَّمًا، أَوْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً دُونَ الشَّرْكَ، فَهَذَا كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَعَاصِي، وَلَا تَزِيدُهُ الطَّاعَاتُ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ -عِنْدَهُمْ- فِي الْقَلْبِ، وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ. هَذَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ -وَهُوَ عَلَى النَّقِيضِ مِنْ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ- فَهُمْ أَخَذُوا بِآيَاتِ الْوَعِيدِ وَالرَّجَاءِ وَتَرَكَوا آيَاتِ الْوَعِيدِ.

أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِعْتِدَالِ، لَا يُكْفِرُونَ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَامِلُ الْإِيمَانِ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ فَاسِقٌ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، وَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَإِنْ عَذَّبَ فَإِنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ - كَمَا تَقُولُهُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ - فَجَمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

بَيْنَ آيَاتِ الْوَعْدِ، وَآيَاتِ الْوَعِيدِ، فَلَا يَقُولُونَ - كَمَا تَقُولُهُ الْمُرْجِيَّةُ -: إِنَّ الْمَعَاصِي لَا تَضُرُّ.

وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّهَا تُكْفِّرُ، كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ.

وَأِنَّمَا يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَعَاصِي تَضُرُّ وَتَنْقُصُ الْإِيمَانَ، وَلَكِنَّهَا لَا تُخْرِجُ صَاحِبَهَا مِنَ الدِّينِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ النَّصُوصِ.

هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ): يَعْنِي: أَهْلَ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ.

قَوْلُهُ: (وَأِنْ عَصَوْا): يَعْنِي: مَا دَامَتْ مَعْصِيَتُهُمْ دُونَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ.

قَوْلُهُ: (فَكُلُّهُمْ يَعِصِي): لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْمَعَاصِي، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩) وقال: (حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة)، وأخرجه ابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، والدارمي (٢٧٢٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١/ ٣٦٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥/ ٣٠١)، وابن أبي شيبة =

قوله: ﴿وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ﴾: يعني: يَغْفِرُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَعَفِّرْ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الحديث القدسي: «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْنَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»<sup>(١)</sup>، فإذا كان من أهل التوحيد ولم يُشْرِكْ، وإنَّما عنده معاصٍ دُونَ الشُّرْكِ، فهذا يَطْمَعُ في مَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، قد يَغْفِرُ لَهُمْ، وَقَدْ يُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، لكن لا يُخَلِّدُهُمْ فِي النَّارِ.

هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الْمُعْتَدِلُ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي أَصْحَابِ الْمَعَاصِي.



= في «مصفه» (٣٤٢١٦)، والحاكم في «المستدرک» (٢٧٢ / ٤) وصححه، والبيهقي في «شعب

الإيمان» (٤٢٠ / ٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤٧ / ٥)، والحاكم (٢٤١ / ٤) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال:

(صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وأخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال: (حسن غريب)، عن أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب في شرح الحديث الثاني والأربعين، وقد رواه مسلم

(٢٢) (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ مقارب وفيه: «وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ

خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

## [عَقِيدَةُ الْخَوَارِجِ]

٣٤ وَلَا تَغْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْذِي وَيَفْضَحُ

————— ❦ —❦————— الشَّرْحُ ❦ —❦—————

الْخَوَارِجُ فِرْقَةٌ مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ سُمُّوا بِالْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ وُلاَةِ الْأُمُورِ، وَأَوَّلُ مَا خَرَجُوا خَرَجُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ، وَقَالُوا: لِمَاذَا تُحَكِّمُ الرِّجَالَ وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]؟!

ولذلك لما ناظرهم عبدُ الله بنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup> أَذَلُّوا عَلَيْهِ بِهِذِهِ الشُّبْهَةِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ! فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي الْأَرْزَبِ يَصِيدُهَا الْمُحَرِّمُ؛ فَقَالَ فِي الصَّيْدِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]؟! أَلَيْسَ اللَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ فِي قَضِيَةِ النُّشُوزِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]؟! فَحَكَّمَ الرِّجَالَ، وَتَحَكَّمُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلرِّجَالِ هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

فَإِنْ رَأَى الْخَوَارِجُ (مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ): يَعْنِي يُحِبُّهُ وَيَتَّبِعُهُ.

(يُرْذِي): يُهْلِكُ مَنْ قَالَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ رَأْيٌ خَطِيرٌ، فِيهِ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْخُرُوجُ عَلَى وُلاَةِ الْأُمُورِ.

(١) مناظرة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج: رواها بطولها عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٦٧٨)، وأحمد (٣٤٢/١)، والحاكم (١٥٠/٢) من رواية سماك بن الوليد الحنفي أبي زميل عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَمَذْهَبُ الْخَوَارِجِ يَتَفَرَّغُ مِنْهُ فِرْعَوْنٌ قَبِيحَةٌ، فَلَا تَعْتَقِدُهُ أَوْ تَمْلُ إِلَيْهِ، بَلْ اعْتَبِرْهُ  
مَذْهَبًا بَاطِلًا، وَهَذَا فِي الَّذِي يَرَى رَأْيَهُمْ وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ مِثْلَ فَعْلِهِمْ، فَكَيْفَ بِالَّذِي يَرَى  
رَأْيَهُمْ وَيُنْفِذُهُ؟!



## [عَقِيدَةُ الْمُرْجِئَةِ]

- ٣٥ وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ      أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرُحُ  
 ٣٦ وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ      وَفَعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ  
 ٣٧ وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً      بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَزْجَحُ

## — ❦ — الشَّرْحُ — ❦ —

الْمُرْجِئَةُ هُمُ الطَّرْفُ الثَّانِي الْمُقَابِلُ لِلخَوَارِجِ، وَسُمُّوا الْمُرْجِئَةَ مِنَ الْإِرْجَاءِ، وَهُوَ: التَّأخِيرُ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَّرُوا الْأَعْمَالَ عَنْ مَسَمَى الْإِيمَانِ، فَقَالُوا: الْأَعْمَالُ لَا تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ، فَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ آمَنَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا، فَلَمْ يُصَلِّ، وَلَمْ يُزَكِّ، وَلَمْ يَأْتِ بِالْأَوَامِرِ، وَلَمْ يَتَجَنَّبِ الْمَحْرَمَاتِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ -عِنْدَهُمْ- كَامِلُ الْإِيمَانِ! وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ، وَفِيهِ تَعْطِيلٌ لِلأَعْمَالِ نِهَائِيًّا.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ): لِأَنَّ مَذْهَبَ الْإِرْجَاءِ تَلَاُعُبُ بِالذِّينِ، يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا -عِنْدَهُمْ- وَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا، وَلَوْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَالصَّيَامَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ، وَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا طَوْلَ حَيَاتِهِ، وَلَوْ فَعَلَ كُلَّ الْمَحْرَمَاتِ!

وهذا مذهب باطل. ولذلك فالفسَّاقُ وأصحابُ المعاصي يفرحون بهذا المذهبِ ويُؤيدونه؛ لِأَنَّهُ يَصْلُحُ لَهُمْ، يَعْنِي: يَعْمَلُونَ مَا يَشَاؤُونَ وَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ عِنْدَ الْمُرْجِئَةِ، فَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، وَأَصْحَابُ الشَّهَوَاتِ، وَأَصْحَابُ الْمَعَاصِي يَفْرَحُونَ بِهَذَا الْمَذْهَبِ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَاُعُبِ بِالذِّينِ، وَالتَّحْلُلِ مِنْهُ نِهَائِيًّا.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرُحُ): يَعْنِي: الْمُرْجِئَةُ يَلْعَبُونَ بِالذِّينِ،

أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ مُؤْمِنًا؛ لِأَنَّهُ يَعْتَرِفُ بِقَلْبِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] فهو مُعْتَرِفٌ بِهَذَا بِقَلْبِهِ، وَلَكِنَّهُ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ مِنْ بَابِ الْكِبْرِ وَالْبَقَاءِ عَلَى مَلِكِهِ، وَاسْتِكْبَارًا عَمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِقُلُوبِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فَهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى مُخَالَفَتِهِ الْجُحُودَ، وَالْكِبْرَ، وَالِاسْتِكْبَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَالْعَصْبِيَّةَ لِلْبَاطِلِ؛ كَمَا حَمَلَ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَى الْحَقِّ، فَقَالَ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا

فَلَمَّا لَمْ يَتَّبِعْهُ وَمَاتَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى الشَّرِكِ صَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ يَعْتَرِفُ أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَقَالَ:

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسْبِيَةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا<sup>(١)</sup>

مَا مَنَعَهُ مِنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْحَمِيَّةُ لِدِينِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، فَمَنَعَتْهُ الْحَمِيَّةُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- فَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَى الْحَقِّ، وَيَعْتَقِدُ هَذَا، فَعَلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ يَلْزُمُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا.

وَلَيْسَ الْإِيْيَانُ هُوَ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَحَسْبُ بِدُونِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ، كَمَا تَقُولُهُ الْكُرَّامِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْمُتَنَافِقُونَ مُؤْمِنِينَ! لِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِالْإِسْتِثْمِ، وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ تَحْتَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴿يَعْنِي: يَتَلَفَّظُ، ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُفْعَلُ السَّاعَةُ﴾﴾ [البقرة: ٨] يَعْنِي: يَتَلَفَّظُونَ بِالْإِسْتِثْمِ.

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى يَقُولُ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فمَجَرَّدُ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، بَلِ اللَّهُ قَالَ عَنْهُمْ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً ﴿يَعْنِي سُرَّةً﴾ ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴿[المنافقون: ١-٢]﴾ ءَامَنُوا ﴿بِالْإِسْلَامِ﴾ ثُمَّ كَفَرُوا ﴿بِقُلُوبِهِمْ﴾.

فَالْتَقَطَ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، وَلَوْ اعْتَرَفَ الْإِنْسَانُ، حَتَّى وَلَوْ قَاتَلَ وَجَاهَدَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ صَلَّى وَصَامَ، لَا يَكْفِي هَذَا حَتَّى يَتَعَقَّدَ بِقَلْبِهِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ.

وَكَذَلِكَ لَيْسَ الْإِيمَانُ كَمَا تَقُولُ مُرَجِّئَةُ الْفُقَهَاءِ: الْإِيمَانُ هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ! لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا صَارَ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي فَائِدَةٌ، يَكْفِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَعَقَّدُ بِقَلْبِهِ وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَلَوْ لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ! وَهَذَا مَذْهَبُ بَاطِلٍ بِلَا شَكٍّ؛ لِأَنَّهُ يُعْطَلُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَرَنَ الْعَمَلَ بِالْإِيمَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥] وَلَمْ يَقُلْ آمِنُوا. فَحَسْبُ أَوْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. فَحَسْبُ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْاِثْنَيْنِ مَعًا، فَلَا يَكْفِي الْعَمَلُ بَدُونِ إِيْمَانٍ، وَلَا يَكْفِي الْإِيمَانُ بَدُونِ عَمَلٍ، فَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ قَرِينَانِ، وَهَذَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ: حَدِيثُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (١).

فَقَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): هَذَا قَوْلٌ بِاللِّسَانِ.

(وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ): هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ.

و(إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ): هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٧) (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فدلّ على أنّ الإيمان: قولٌ واعتقادٌ وعملٌ.

وأما كونه يزيد بالطاعة، فهذا صريحٌ في القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿[الأنفال: ٢-٤]﴾، فجعل الصلاة والإنفاق من الإيمان، وهذه أعمالٌ جوارح، وذكر الله هذا قولٌ باللسان، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وهو دليلٌ على أنّ الإيمان يزيد. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، فدلّ على أنّ الإيمان يزيد ويقوى بالطاعات.

وكذلك ينقص الإيمان بالمعاصي، بدليل حديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup> فدلّ على أنّ الإيمان يضعف، فالذي لا يُنكر المنكر لا بيده ولا بلسانه هذا ضعيف الإيمان، والذي لا يُنكر لا بيده ولا بلسانه ولا بقلبه هذا ليس فيه إيمان أصلاً؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»؛ كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَىٰ أَذْنَىٰ مِنْثَقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنَ إِيمَانٍ»<sup>(٢)</sup>، هذا دليلٌ على أنّ الإيمان يضعف ويكون بقدر وزن حبة الخردل أو أذنى من ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] دليلٌ على أنّ الإيمان يضعف حتى يصل إلى أن يقرب صاحبه من الكفر، ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، فهذا دليلٌ على نقص الإيمان.

(١) سبق تخريجه (ص ١٥١).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥١).

والمرجئة يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الإيمان بالقلب، وهو شيء واحد، والناس لا يتفاضلون في الإيمان، فإيمان أبي بكر مثل إيمان أفسق الناس!

وهذا كلام باطل، بل الإيمان يتفاضل، وبعض المؤمنين أقوى إيماناً من الآخر، قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن الأقوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»<sup>(١)</sup>، قوة في الإيمان، وقوة في البدن، وقوة بالفعل.

فالإيمان يزيد وينقص بلا شك، فالمعاصي تنقص الإيمان، والطاعات تزيد في الإيمان. هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

قول الناظم رحمه الله تعالى: (إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ): يعني: باللسان. (وَنِيَّةٌ): يعني: اعتقاد بالقلب.

قوله: (وَفِعْلٌ): وهو عمل بالأركان.

الإيمان: قول واعتقاد وعمل، هذا ما يدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كما في حديث شعب الإيمان، وغيره من الأحاديث.

قوله: (وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً \* بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ): هذا رد على المرجئة الذين يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإنما هو شيء واحد، وأهله في أصله سواء!

وهذا قول باطل، بل الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.



## [تَقْدِيمُ قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ]

٣٨ وَدَغَ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلُهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

## ————— ❦ —❦————— الشَّرْحُ ❦ —❦—————

هذه مسألة أخرى، وهي: أنه لا بد أن يكون هناك خلاف بين العلماء في المسائل، هذا يقول: هذا حلال، وهذا يقول: هذا حرام، وهكذا يجري الخلاف بين العلماء في المسائل الاعتقادية، والمسائل العملية، والمعاملات، فالخلاف يقع بلا شك، وهذه طبيعة البشر، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾ (١١٨) ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، ولكن لا يجوز لنا أن نأخذ ما نريد من الأقوال وما يوافق رغبتنا وشهواتنا، وإنما نأخذ من الأقوال ما قام عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾: إلى كتاب الله (القرآن)، ﴿وَالرَّسُولِ﴾: ويرجع إليه في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويُسأل، أما بعد موته فيرجع إلى سنته، فكأنه موجود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بوجود سنته؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»<sup>(١)</sup>، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخريجه (ص ٤١).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» (١/ ٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ص ٢٦٩)، من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ورواه الحاكم أيضًا في «المستدرک» (١/ ٩٣)، عن ابن عباس =

فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا نَشْتَهِي أَوْ يُوَافِقُ رَغْبَاتِنَا، أَوْ أَهْوَاءَنَا، أَوْ  
نَقُولُ: هَذَا أَوْسَعُ لِلنَّاسِ وَأَيْسَرُ لِلنَّاسِ، وَالْمُرُونَةُ مَطْلُوبَةٌ!  
فَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ.  
وَيَقُولُونَ: الْاِخْتِلَافُ رَحْمَةٌ!

ونقول: الاختلاف ليس برحمة، الاجتماع هو الرحمة والاتفاق هو الرحمة، أما  
الاختلاف فإنه عذابٌ وشرٌّ؛ كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخِلَافُ شَرٌّ»<sup>(١)</sup>.  
فالاختلاف موجودٌ، ولكن ليس معنى ذلك أن نقول: هذا من سعة الدين؛ لأن  
الدين ليس في أقوال العلماء، إنما الدين بالدليل، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَزُدُوهُ  
إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] هذا هو الميزان الذي بين أيدينا، لم يكن الله للخلاف أو إلى  
رأي فلانٍ وقول فلان، بل أمرنا بأن نرجع إلى الميزان، وهو: الكتاب والسنة.

- فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّاجِحَ مِنَ الْمَرْجُوحِ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُهُ  
أَنْ يَأْخُذَ الْقَوْلَ عَلَى عِلَالَتِهِ حَتَّى يَعْزِضَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْعَوَامِّ أَوْ مِنَ الْمُبْتَدِئِينَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَهَذَا يَسْأَلُ أَهْلَ  
الْعِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وعزاه في «كنز العمال» إلى أبي بكر الشافعي في  
الغيلانيات عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «الكنز» (٨٧٥)، وعزاه أيضًا لأبي بكر السجزي في «الإبانة»  
الكنز (٩٥٥)، وقد ورد بغير هذا اللفظ عند مسلم (٣٦-٣٧) (٢٤٠٨)، والترمذي (٣٧٨٨)،  
وأحمد (١٤/٣)، و«السنة» لابن أبي عاصم من (١٥٥١) إلى (١٥٥٨).

(١) أخرجه أبو داود (١٩٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٣/٣) (٥٢١٩)، وأبو يعلى  
(٢٥٥/٩) (٥٣٧٧)، وهو عند ابن أبي شيبة: بلفظ (الخلاف أشد). «المصنف» (٢٥٧/٣).  
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥١٦/٢)، وأصله في «الصحيحين»: رواه البخاري  
(١٠٨٤)، ومسلم (٦٩٥).

والأئمة يُحذِّرون من أخذ أقوالهم بدون معرفة الدليل:

- فالإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول<sup>(١)</sup>: «كُلُّنا رَأْدٌ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ» يعني: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول: «أَوْ كُلُّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجْدَلٍ هَؤُلَاءِ».

- والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي»، ويقول: «إِذَا خَالَفَ قَوْلِي قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ، وَخُذُوا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ويقول: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدْعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ».

- والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول<sup>(٢)</sup>: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتْهُ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ! وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشَّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ».

فَلَا قَوْلَ لِأَحَدٍ مَعَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمِيزَانِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا، أَنَّهُ لَمْ يَكِلْنَا إِلَى الْاِخْتِلَافِ وَأَقْوَالِ النَّاسِ،

(١) انظر: أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء؛ في «قواعد التحديث» للقاسمي (ص ٢٧٣)، ط. دار الكتب العلمية، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٥)، و«الرد على الأخنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٨٥)، ط. المطبعة السلفية، و«إعلام الموقعين» (٣/ ٢٨٧). وتيسير العزيز الحميد (٥٦٣)، ط. مكتبة التراث الإسلامي.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (هذا الكلام من الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ رَوَاهُ عَنْهُ الْفَضْلُ ابْنُ زِيَادٍ وَأَبُو طَالِبٍ. ثُمَّ قَالَ: ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى) اهـ. انظر: «فتح المجيد» (ص ٥٥٧)، ط. قرطبة.

وانظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (١١٦/ ٢)، ط. دار ابن حزم، و«شرح قصيدة ابن القيم» لابن عيسى (١/ ٤٩٢)، ط. المكتب الإسلامي.

وإنَّما أَمَرْنَا أَنْ نَزِنَ الْأَقْوَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا يَكُونُ لِلْعُلَمَاءِ، وَأَمَّا الْعَوَامُ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ: ﴿فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فَيَسْأَلُ الْعَامِيُّ مَنْ يَثِقُ بِعِلْمِهِ وَدِينِهِ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ؛ وَهَذَا يَقُولُونَ: مَذْهَبُ الْعَامِيِّ مَذْهَبُ مَنْ أَفْتَاهُ. فَهَذَا هُوَ الضَّابِطُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَالْآنَ الصُّحُفُ وَالْكِتَابَاتُ كُلُّهَا تُنَادِي بِالْأَخْذِ بِالْآرَاءِ وَالتَّوَسُّعِ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْتُمْ إِذَا رُدُّوْا إِلَى الدَّلِيلِ فَهَذَا حَرْجٌ وَضِيقٌ، هَكَذَا يَقُولُونَ!

وَهَذَا الْقَوْلُ كُفْرٌ؛ لِأَنَّ قَائِلَهُ يَرَى أَنَّ الْأَخْذَ بِالدَّلِيلِ يَكُونُ حَرْجًا! وَالَّذِي يَقُولُ هَذَا يَكْفُرُ. وَالْأَخْذُ بِالدَّلِيلِ هُوَ الْفَرْجُ وَلَيْسَ حَرْجًا، وَهُوَ التَّيْسِيرُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي مَسْأَلَةِ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَمَاذَا نَأْخُذُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْمَسَائِلِ.

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ): الْمُعْتَبَرُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِ، وَلَمْ نَوْمَرْ بِاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَقْوَالِ. وَالْعُلَمَاءُ وَالْأُئِمَّةُ يُحَذِّرُونَ مِنْ هَذَا غَايَةَ التَّحْذِيرِ.



## [الطَّعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ]

٣٩ وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

————— ❦ —❦———— الشَّرْحُ ❦ —❦————

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ):

أي: لَا تَتَّخِذِ الدِّينَ مَهْزَلَةً وَمَلْعَبَةً؛ فَإِنَّ هَذَا فِعْلُ الْمُنَافِقِينَ وَالْفُسَّاقِ، بَلْ عَلَيْكَ احْتِرَامُ الدِّينِ وَتَعْظِيمُ أَمْرِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْمُنَافِقِينَ وَالْفُسَّاقِ: ﴿اتَّخِذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الصُّوفِيَّةُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الرَّقْصَ وَالذُّفُوفَ وَالْأَغَانِي مِنَ الدِّينِ! وَيُسَمُّونَهَا الْأَنَاشِيدَ وَالْمَرَائِي وَالْقَصَائِدَ، وَيُنْشِدُونَهَا يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ! وَهِيَ مِنَ الْأَغَانِي وَالطَّرَبِ الْمُحَرَّمِ، وَاللَّهْوِ الْمُحَرَّمِ.

وَيَدْخُلُ فِيهِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى: الَّذِينَ يَمِيلُونَ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَمَا تَهْوَاهُ أَنْفُسُهُمْ، وَيُعْطُونَ أَنْفُسَهُمْ مَا تُرِيدُ، وَلَوْ كَانَ مُحَالِفًا لِلدِّينِ، فَهَذَا مِنْ اتِّخَاذِ الدِّينِ لَهْوًا وَلَعِبًا، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْفُسَّاقُ الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ بِأَمْرِ الدِّينِ، وَيَتَّبِعُونَ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ وَرَغْبَاتُهُمْ.

وَيَدْخُلُ فِيهِ الْعِبَادُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ أَدْخَلُوا فِي الْعِبَادَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا، بَلْ أَدْخَلُوا فِيهَا مَا يُخَالِفُهَا مِنْ ضَرْبِ الطُّبُولِ وَالرَّقْصِ، وَيَتَّخِذُونَ هَذَا دِينًا، وَيُنْشِدُونَ الْقَصَائِدَ الْمُنْغَمَّةَ، كَفِعْلِ النَّصَارَى فِي تَرَانِيمِهِمْ!

فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ اتِّخَاذِ الدِّينِ لَهْوًا وَلَعِبًا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَنَقَدَحُ):

عَلَيْكَ بِاحْتِرَامِ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَأَهْلُ الْحَدِيثِ: هُمُ أَهْلُ الرِّوَايَةِ الَّذِينَ اعْتَنَوْا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، حَتَّى بَلَغُوهَا لِلنَّاسِ كَمَا جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَفَوْا عَنْهَا كُلَّ دَخِيلٍ وَكُلَّ كَذِبٍ، وَاعْتَنَوْا بِهَا عِنَايَةً تَامَّةً. وَهُمْ عَلَى قَسَمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَهْلُ رِوَايَةٍ فَحَسَبَ.

الثَّانِي: أَهْلُ رِوَايَةٍ وَدِرَايَةٍ.

أَهْلُ الرِّوَايَةِ هُمُ: الْحَفَاطُ الَّذِينَ حَفِظُوا الْأَسَانِيدَ، وَاتَّقَنُوهَا، وَمَيَّزُوا رُؤَاتِهَا، وَبَيَّنُّوا أَحْوَالَ الرُّوَاةِ، وَأَيْضًا اعْتَنَوْا بِالْمُتَوْنِ وَحَفِظُوهَا وَبَلَغُوهَا بِالْفَاضِلِ، حَتَّى إِنْ الْحَافِظُ إِذَا شَكَّ فِي لَفْظَةٍ يَقُولُ: أَوْ قَالَ كَذَا وَكَذَا، يَأْتِي بِالاحْتِمَالِ الثَّانِي وَلَا يُجْزِمُ. أَوْ يَقُولُ: شَكَّ فُلَانٌ، وَلَوْ كَانَتْ اللَّفْظَةُ الثَّانِيَةُ بِمَعْنَى اللَّفْظَةِ الَّتِي تَوَقَّفَ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا، يَحْتَرِمُونَ الْأَلْفَاظَ، فَيُؤَدُّونَ الْحَدِيثَ بِلَفْظِهِ؛ كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتَنَا، فَبَلَّغَهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»<sup>(١)</sup>.

فَهُمْ يُحَافِظُونَ عَلَى مُتَوْنِ الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا أَلَّا يَدْخُلَهَا أَلْفَاظٌ غَيْرَ لَفْظِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا شَكُّوا بَيَّنُّوا الشَّكَّ، وَيَدْرُسُونَ الْأَسَانِيدَ، وَيَعْرِفُونَ أَحْوَالَ الرُّوَاةِ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَيُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَوْضُوعِ.

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد (٤٣٧/١، ٨٠/٤، ٨٢/٤، ١٨٣/٥)، وابن حبان (٦٦) (٢٦٨/١)، والحاكم (١٦٣/١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤١) (١٢٦/٢)، و«الأوسط» (١٣٠٤) (٧٨/٢)، و«الصغير» (٣٠٠)، والدارمي (٨٦/١) (٢٢٨)، وأبو يعلى (٦٢/٩) (٥١٢٦)، وكتب فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد رسالة أثبت فيها تواتره.

هذه مُهَمَّةُ الحُفَّاظ، وَيُسَمَّونَ: نُقَّادَ الْمُتُونِ وَالْأَسَانِيدِ، مِثْلُ نَقَّادِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَالصَّيَارِفَةُ يَعْرِفُونَ الذَّهَبَ الصَّحِيحَ وَالْفِضَّةَ الصَّحِيحَةَ مِنَ الْمُزَيَّفَةِ، مِنْ حِينَ يَسْمَعُ صَوْتَ النَّقْدِ يَقُولُ لَكَ: هَذَا مَغْشُوشٌ أَوْ هَذَا غَيْرُ مَغْشُوشٍ. فَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ مِثْلُهُمْ، إِذَا مَا سَمِعَ الْحَدِيثَ وَسَمِعَ سَنَدَهُ، يَقُولُ لَكَ: هَذَا فِيهِ كَذَا، أَوْ فِيهِ كَذَا. هَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ الرَّوَايَةِ.

وَالْآخَرُونَ عُلَمَاءُ الرَّوَايَةِ وَالِدِّرَايَةِ، يَعْنِي: فَقَهَاءَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَرُوُونَ الْحَدِيثَ، وَيَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُ الْأَحْكَامَ، وَيَذْكُرُونَ فِقْهَ الْحَدِيثِ؛ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ، هَؤُلَاءِ فَقَهَاءُ الْحَدِيثِ فَهُمْ حُفَّاظٌ وَقُفَّهَاءُ.

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا لَهُؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ؛ فَقَالَ: «مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ: قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَضَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ: فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلِمَ وَعِلْمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا. وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

فَالطَّائِفَةُ الْأُولَى: «نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ»: وَهَذَا مِثَالٌ لِلْحُفَّاظِ، الَّذِينَ أَمْسَكُوا الْحَدِيثَ وَرَوَوْهُ وَحَفِظُوهُ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَرْجِعُ إِلَى مَا دُونَهُ وَمَا جَمَعُوهُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ، مِثْلُ الْجَابِيَةِ الَّتِي تَحْفَظُ مِيَاهَ السُّيُولِ، يَرِدُ إِلَيْهَا النَّاسُ بِدَوَابِّهِمْ وَبَأْوَانِهِمْ وَيَرْتَوُونَ مِنْهَا. هَذَا مِثْلُ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ تَمَامًا.

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (١٥) (٢٢٨٢).

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: «أَمْسَكَتِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ»: وَهَذَا مِثَالٌ لِفَقْهَاءِ الْحَدِيثِ،  
الَّذِينَ حَفَظُوا الْحَدِيثَ وَأَمْسَكُوهُ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهُ الْأَحْكَامَ، وَهَذَا إِنْبَاتُ الْكَلَاءِ،  
فَشَرَبَ النَّاسُ وَرَعَوْا.

وَهَؤُلَاءِ أَحْسَنُ مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، أَحْسَنُ مِنَ الْحَفَازِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ رِوَايَةٍ  
وَأَهْلُ دِرَايَةٍ.

وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ: «إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً»: فَذَلِكَ مِثَالٌ  
مَنْ لَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ، وَلَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا.

فَالنَّاسُ كَالْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: أَجَادِبُ: لَا تُنْبِتُ، وَلَكِنَّهَا أَمْسَكَتِ الْمَاءَ. هَؤُلَاءِ الْحَفَازُ.

الثَّانِي: أَرْضٌ خِصْبَةٌ: أَمْسَكَتْ وَأَنْبَتَتْ. هَؤُلَاءِ هُمُ الْحَفَازُ الْفَقْهَاءُ.

الثَّالِثُ: طَائِفَةٌ لَيْسَ فِيهَا خَيْرٌ: لَا تُنْبِتُ كَلَاءً وَلَا تُمْسِكُ مَاءً. هَذَا مِثَالُ الْمُنَافِقِينَ

الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، الَّذِينَ لَا يَرْفَعُونَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسًا.

فَأَهْلُ الْحَدِيثِ هُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ، وَهُمْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«إِنْ لَمْ تَكُنِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَلَا أَذْرِي مَنْ هُمْ»<sup>(١)</sup>، فَأَصْحَابُ

الْحَدِيثِ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَكَذَلِكَ مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ فَهُوَ يُلْحَقُ بِهِمْ.



(١) انظر: «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص ٢٥) دار إحياء السنة، و«معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص ٢)، ط. دار الكتب العلمية.

## [أَهْمِيَّةُ الْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ]

## [وَفَضْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]

٤٠ إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّتُ وَتُصْبِحُ

————— ❦ ————— الشَّرْحُ ————— ❦ —————

قَوْلُ النَّازِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ):

هَذَا الْخِتَامُ يَقُولُ فِيهِ: إِذَا اعْتَقَدْتَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كُلِّ حَيَاتِكَ، أَوْ عِنْدَ خَاتِمَةِ حَيَاتِكَ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ. أَمَا أَنْ تَعْتَقِدَ ذَلِكَ فَتَرَةً، ثُمَّ تَتْرُكَهُ وَتُهْمِلُهُ، فَهَذَا لَا يَنْفَعُكَ شَيْئًا، لَا بَدَّ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ فِي كُلِّ حَيَاتِكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ عَلَيْهَا، أَمَا مَنْ اعْتَقَدَهَا فِي الْأَوَّلِ ثُمَّ تَرَجَعَ عَنْهَا فَهَذَا يَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ.

(يَا صَاحِ): يَحْتَمِلُ أَنْ أَصْلَهُ يَا صَاحِبِي وَرُخِّمَ، وَالتَّرَخِيمُ: أَنْ يُحْذَفَ آخِرُ

الْمَنَادَى كَ (يَا سَعَا) فَيَمْنُ دَعَا سَعَادًا.

أَوْ أَنَّ الْأَصْلَ (يَا صَاحِبِي) مِنَ الصَّخْوَةِ، وَحُذِفَتِ الْيَاءُ كَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّرَخِيمِ وَالتَّخْفِيفِ، عَلَى الْمُسْتَمِعِ.

فَإِذَا عَمِلْتَ بِمَا ذَكَرَهُ النَّازِمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَاعْتَقَدْتَ مَا جَاءَ فِيهَا، فَأَنْتَ عَلَى الْجَادَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَسْلُوكِ الصَّحِيحِ، وَمَنْ خَالَفَ مَا جَاءَ فِيهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْمُخَالِفِينَ، عَلَى حَسَبِ مُخَالَفَتِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَجْلِ النَّازِمِ أَوْ مَنْظُومَتِهِ، وَإِنَّمَا مِنْ

أجل أن هذه المنظومة مأخوذة من الكتاب والسنة، فليس هذا مدح لمنظومته، وإنما هو مدح لما تشتمل عليه من معاني الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ نَبِيٍّ): في المساء.

(وَتُصْبِحُ): في الصُّبْح. فلا تكن ممن يُصْبِحُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أو يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا بِسَبَبِ الْفِتَنِ، لا تَكُونُ كَذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ؛ لَأَنَّكَ عَلَى مَنَهِجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَذِهِ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسَتَضَرِّقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»<sup>(١)</sup>.

وَسُمِّيَتِ النَّاجِيَةُ؛ لِأَنَّهَا نَجَتْ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ تَقَعْ فِيهَا مَعَ الْفِرْقِ الْمُخَالِفَةِ.

وَسُمُّوا أَهْلَ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»<sup>(٢)</sup>.

وَسُمُّوا بِالْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ، فَمِنْ سَمَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ الْاجْتِمَاعُ، وَمِنْ سَمَاتِ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْافْتِرَاقُ وَالْاِخْتِلَافُ.

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق وورد عن عدد من الصحابة، منهم:

معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أبي داود في «السنن» (٤٥٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٣٧٧ / ١٩).

وعوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٠ / ١٨).

وأبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح.

وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند الترمذي (٢٦٤١).

وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في «المسند» (١٤٥ / ٣)، وأبي يعلى في «مسنده»

(١٥٥ / ٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤١).

جَزَى اللهُ النَّاطِمَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَنَفَعَنَا بِمَا ذَكَرَهُ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ  
وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ إِلَى يَوْمِ نَلْقَاهُ.  
وَبِهَذَا انْتَهَى الشَّرْحُ عَلَى هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ الْمُبَارَكَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

مَسْتَبَدَّ

في ٨/٣/١٤٢٦هـ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

## فهرس الموضوعات

|         |                                                                           |
|---------|---------------------------------------------------------------------------|
| ٥.....  | مقدمة الناشر                                                              |
| ٩.....  | المقدمات التمهيدية                                                        |
| ١١..... | المقدمة الأولى: ترجمة صاحب المنظومة الحائية أبي بكر بن أبي داود السجستاني |
| ١٩..... | المقدمة الثانية: ترجمة شارح الحائية الشيخ صالح بن فوزان الفوزان           |
| ٢٥..... | المقدمة الثالثة: التعريف بالمنظومة الحائية                                |
| ٣٥..... | المقدمة الرابعة: متن المنظومة الحائية                                     |
| ٣٧..... | مقدمة الشارح                                                              |
| ٣٧..... | نبذة تاريخية عن ظهور الفرق                                                |
| ٣٨..... | ردود أهل السنة على المبتدعة                                               |
| ٣٩..... | الكلام على المنظومة، وسبب تسميتها بالحائية                                |
| ٤٠..... | تعريف بصاحب المنظومة                                                      |
| ٤١..... | الحث على التمسك بالكتاب والسنة ونبد البدع                                 |
| ٤٣..... | معنى الهدى                                                                |
| ٤٤..... | أقسام الهداية                                                             |
| ٤٦..... | تعريف البدعة                                                              |
| ٤٧..... | الرد على من قسم البدعة إلى محمودة ومذمومة                                 |
| ٤٩..... | أسباب الفلاح                                                              |
| ٥١..... | تعريف السنة لغة وشرعاً                                                    |
| ٥٢..... | وجوب الأخذ بما صح من السنة في العقائد والعبادات                           |
| ٥٣..... | الرد على من يقول: إن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد                 |

- الأصل الثالث: الإجماع..... ٥٤
- الرابع: القياس..... ٥٤
- كلام الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبد الآراء المخالفة..... ٥٥
- عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالى حقيقة..... ٥٧
- رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَام على صورته الملكية..... ٥٨
- الكلام يُنسب لمن قاله مبتدئاً لا على من قاله مبلغاً..... ٥٩
- مذهب الأشاعرة في كلام الله عَزَّجَلَّ..... ٦٠
- قول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كيفية نزول القرآن الكريم..... ٦٠
- مذهب الجهمية في القرآن الكريم..... ٦١
- الرد على من يقول: إن مسألة القول بخلق القرآن لا تحتاج لهذا الاهتمام..... ٦٣
- مذهب الواقفة في القرآن الكريم..... ٦٥
- الرد على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، بدون تفصيل..... ٦٧
- مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة اللفظ..... ٦٨
- مسألة الرؤية، وأقوال الناس فيها..... ٧٠
- الأدلة من القرآن والسنة على إثبات الرؤية..... ٧١
- تعدي النظر بـ (في)، و(إلى) وفائدة ذلك..... ٧٢
- وجه تسمية سورة الإخلاص بذلك..... ٧٤
- الرد على من جعل لله تعالى صاحبة والولد..... ٧٥
- إنكار الجهمية لرؤية الله جَلَّوَعَلَا..... ٧٨
- إثبات اليمين لله تعالى، والرد على الجهمية والمثلة..... ٧٩
- إثبات نزول الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا..... ٨٤
- الرد على من يقول: ينزل أمره أو تنزل ملائكته، ونحو ذلك..... ٨٥
- معنى اسم الله تعالى: «الجبار»..... ٨٧
- الأثار المسلكية لاعتقاد نزول الرب تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا..... ٨٩
- بحث في فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحقوقهم..... ٩٥

- ٩٧..... مراتب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الفضل
- ٩٩..... سبب إيراد المصنفين لمسألة الصحابة في كتب العقائد
- ٩٩..... المعادون للصحابة ثلاث طوائف: الرافضة، والخوارج، والنواصب
- ١٠٠..... بيان فضل الخلفاء الأربعة
- ١٠٧..... بيان فضائل باقي العشرة المبشرين بالجنة
- ١٠٩..... التحذير من التنقص من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
- ١١١..... فضل أولاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعائشة ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
- ١١٣..... فضل المهاجرين والأنصار
- ١١٤..... فضل التابعين، وبيان المراد بالتابعي
- ١١٥..... فضل الأئمة الأربعة ومن في طبقتهم
- ١١٧..... الإيمان بالقدر
- ١١٨..... معنى الإيمان بالقدر
- ١١٩..... حكم الإيمان بالقدر
- ١٢٠..... مراتب الإيمان بالقدر
- ١٢٤..... المخالفون في القدر
- ١٢٤..... الكلام على مذهب القدرية
- ١٢٧..... مذهب أهل السنة والجماعة في القدر
- ١٣١..... فوائد الإيمان بالقضاء والقدر
- ١٣٤..... الأمور الخطيرة التي تترتب على القول بمذهب الجبرية والقدرية
- ١٣٥..... حكم مَنْ ينفي القدر
- ١٣٦..... مسألة احتجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَام
- ١٣٩..... الإيمان باليوم الآخر، وما يكون بعد الموت
- ١٤٠..... حكم من أنكر البعث
- ١٤١..... الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب
- ١٤٤..... وجوب الإيمان بسؤال الملكين «منكر ونكير» في القبر

- الإيمان بالحوض..... ١٤٦
- الإيمان بالميزان..... ١٤٧
- خروج عصاة الموحدين من النار، والأقوال المخالفة لأهل السنة والجماعة..... ١٥٠
- مسألة الشفاعة ومعناها..... ١٥٢
- شروط الشفاعة..... ١٥٣
- أنواع شفاعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٥٥
- الشفاعات العامة للملائكة والأنبياء والمؤمنين..... ١٥٨
- مسألة تكفير أصحاب الكبائر التي دون الشرك..... ١٥٩
- مذهب الخوارج في مرتكبي الكبيرة..... ١٦٢
- مذهب المرجئة..... ١٦٤
- نصيحة المؤلف بنقد الآراء والأقوال المخالفة لقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٧٠
- التحذير من التلاعب بالدين والطعن في أهل السنة..... ١٧٤
- فضل من سمع مقالةً فحفظها فبلغها..... ١٧٥
- أصناف الناس بالنسبة لما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم..... ١٧٦
- شرف أصحاب الحديث..... ١٧٧
- خاتمة المنظومة في الوصية بهذا الاعتقاد..... ١٧٨
- خاتمة الشرح المبارك..... ١٨٠
- فهرس الموضوعات..... ١٨١